مجالس الأئمة عليهم السلام المعصومين

معهد سيّد الشهداء عليه السلام
للمنبر الحسيني

الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

معهد سيّد الشهداء للمنبر الحسينيّ

بيروت - لبنان - المعمورة - الشارع العامّ

هاتف: 01/471070 - ص - ب: 25/327024/53

www.almaaref.org

www.almenbar.org

Email: menbar@almenbar.org

الإعداد والإخراج الالكتروني
www.almaaref.org

الكتاب: مجالس الأئمة المعصومين عليهم السلام

إعداد: معهد سيّد الشهداء عليه السلام للمنبر الحسينيّ

نشر: جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة

الإصدار الثاني: ٢٠١٢م - ١٤٣٣هـ

مجالس
الأئمّة المعصومين عليهم السلام

المركز الإسلاميّ للتبليغ
www.almenbar.org

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

الحمدُ للّهِ ربِّ العالمين، وصلّى اللّه على سيِّدنا محمّدٍ وآلِ بيته الطاهرين الذين أذهبَ اللّه عنهم الرِّجسَ وطهَّرهم تطهيراً.

إنّ إحياءَ أمرِ أهلِ البيتِ عليهم السلام الذي أمرَ به الإمامُ الصادقُ عليه السلام - فيما رُوي عنه أنّه قال لفضيلِ بنِ يَسار: تجلسون وتحدّثون؟ قال: نعم جُعلتُ فداك، قال عليه السلام: «**إنّ تلك المجالسَ أُحبّها، فأحيوا أمرنا يا فضيلُ، فرحم اللّه مَنْ أحيا أمرنا..**»[1] - لا يقتصر كما هو واضح على إمام دون إمام، ولا أمر من أمورهم دون أمر آخر، بل إنّ ما أُصيب به سائر الأئمّة عليهم السلام يُعدُّ التذكيرُ به والاعتناءُ بشأنه مصداقاً من مصاديق هذا الإحياء، وتلك المجالس التي يحبّها الإمام عليه السلام، وتُحقّق شكلاً من أشكال التولّي والارتباط بأئمّة أهل البيت عليهم السلام.

فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنّ اللّه تبارك وتعالى اطّلع إلى الأرض فاختارنا، واختارَ لنا شيعة يَنصروننا، ويفرحون لفرحنا، ويحزنون لحزننا، ويبذلون أموالَهم وأنفسَهم فينا، أولئك منّا**

(١) المجلسي: بحار الأنوار ج ٧١ ص ٣٥١.

وإلينا»[1]. ومن هنا ورد في الروايات الأجرُ العظيمُ والثواب الكبير، لمن تأثّر قلبه على مصيبة من مصائبهم أو جرت دموعه لرزيّة من رزاياهم، فعن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «**نفس المهموم لظلمنا تسبيح، وهمُّه لنا عبادة..**»[2]. وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «**كان عليّ بن الحسين عليه السلام يقول: أيُّما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين عليه السلام حتّى تسيل على خدّه بوّأه الله تعالى بها في الجنّة غرفاً يسكنها أحقاباً، وأيُّما مؤمن دمعت عيناه حتّى تسيل على خدّيه فيما مسّنا من الأذى من عدوّنا في الدنيا، بوّأه الله منزلَ صدق، وأيُّما مؤمن مسّه أذى فينا فدمعت عيناه حتّى تسيل على خدّه من مضاضة أو أذى فينا، صرف الله من وجهه الأذى وآمنه يوم القيامة من سخط النّار**[3].

ومن هنا فمن اللازم على المحبّين والموالين أن يجعلوا من أيّام شهادات الأئمّة عليهم السلام ووفَيَاتِهم أيّامَ حزن وحداد، وتحويلُ تلك الأيّام إلى مناسبات للتذكير بحقّهم وفضلهم، وبيانُ ما نالوه من الظلم في حياتهم، وربطُ الناس بهم وبسيرتهم وتوجيهاتهم وإرشاداتهم، عسى أن يكون في ذلك بعضٌ من الوفاء لهم، والأداء لحقّ المودّة، الواجب على هذه الأمّة بنصّ التنزيل: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[4]

(١) المجلسي: بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٢٨٧.
(٢) المجلسي: بحار الأنوار ج ٢ ص ٦٤.
(٣) الصدوق: ثواب الأعمال ص ٨٣.
(٤) سورة الشورى الآية ٢٣.

ومن الواضح أنّ لخطباء المنبـر الحسينيّ الدورَ الأساسيَّ على هـذا الصعيد، حيث يتحمّلـون هـذه المسؤوليّةَ الكبيـرةَ والمهمّةَ، ويشكّلون النواةَ الأولى لمجالس العزاءِ التي تُقام إحياءً لأمرهم.

هذا الكتاب:

وفي هذا السياق قمنا في معهد سيّد الشهداء عليه السلام بإعداد هذا الكتاب: «**مجالس الأئمّة المعصومين عليهم السلام**» في إصداره الثاني، ليكـون عوناً ومساعـداً للاخوة القـرّاء في إحياء هـذه المناسبات الأليمة.

وقد راعينا في هذا الإصدار الأمورَ الآتية:

- اقتصرنا على ذكر مجلس واحد لكلّ إمام من الأئمّة عليهم السلام.
- لـم نقم بذكر محاضرة أو كلمـة ضمن المجلس، بل اكتفينا ببعض الروايات لأجل الربط أو التخلّص للمصيبة فقط.
- أدرجنا بعضَ الأبيات الدارجة والمفهومة إلى حدٍّ ما.

وفي الختام نسأله تعالى أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه، ويرزقنا شفاعة محمّدٍ وآلِ بيته الطيّبين الطاهرين، إنّه سميع مجيب.

معهد سيّد الشهداء عليه السلام

للمنبر الحسينيّ

مجلس شهادة

الإمام عليّ عليه السلام

قُمْ نَاشِدِ الإسْلَامَ عن مُصَابِهْ ... أُصِـيْـبَ بِالنَّبِيِّ أَمْ كَتَابِهْ

أَمْ أَنَّ رَكْبَ الموتِ فيهِ قد سَرَى ... بـالـروحِ محمولاً على رِكـابِـهْ

بَلَىْ قَضَى نَفْسُ النبيِّ المرتضَى ... وَأُدْرِجَ الليلةَ فـي أثـوابِـهْ

مَضَى على اهتضامِهِ بغُصَّةٍ ... غَصَّ بها الدهرُ مَـدَى أحْقابِهْ

عاشَ غريباً بينَها وقد قضَى ... بسَيْفِ أشقاها على اغترابِهْ

لقد أراقـوا ليلةَ الـقَـدْرِ دماً ... دمـاؤهـا انْصَبَبْنَ بانصبابِهْ

تـنـزَّلُ الـروحُ فوافى روحَـهُ ... صـاعـدةً شـوقـاً إلـى ثـوابِـهْ

فَضَجَّ والأمـلاكُ فيها ضجّةً ... منها اقشعرَّ الكونُ في إهابِهْ

وانقلبَ الإسلامُ للفجرِ بها ... للحَشْرِ إعـوالاً على مُصابِهْ

للهِ نَفْسُ أحمدٍ مَنْ قد غدَا ... مِنْ نَفْسِ كُلِّ مؤمنٍ أَوْلَـى بِهْ

غـادرَهُ ابـنُ مَلْجَمٍ ووجهُهُ ... مخضّبٌ بـالـدَّمِ في محرابِهْ

فَلْيَبْكِ جبريلُ لهُ ولْينتحِبْ ... في المَلَأ الأعلى على مُصابِهْ[1]

(١) القصيدة للسيّد حيدر الحلّي رحمه الله.

شعبي:

الله يالناعـي افجعت قلبـي او مردته

يا ريت صوتك لا عليّ مرّ اوسـمعته

كن عودي ما تمم ابمحرابه سـجدته

الله يالناعي افجعتنـه ابهذا المصاب

گلها يويلي راح ابـوك او هلّي العين

صابه المرادي ابسيفه او طبّر اسه نصين

من سمعته صاحت يخويه حسن واحسين

گوموا لبونه اتلاحگوا بالمسجد انصاب

أبوذية:

أركان الهـدى مـن صـاح هـدّام

اومـن راسـك يحامـي الجار هـدّام

او عليـك الحزن طـول الدهـر هدّام

او مـا ننسـاك يـا حامـي الحميـة

عن أمّ كلثـوم بنت أمير المؤمنين صلـوات الله عليه أنّها قالت: لمّـا كانت ليلةَ تسعَ عشرةَ من شهر رمضانَ قدّمتُ إليه عند إفطاره طبقاً فيه قرصـان من خبز الشعير وقصعةً فيها لبن وملح جريش، فلمّـا فرغ من صلاته أقبل علـى فطوره، فلمّا نظر إليه وتأمّله حرّك رأسـه وبكـى بكاءً شديـداً عالياً، وقال: يـا بنيّة، ما ظننـت أن بنتاً تسـوء أباهـا كما قد أسأت أنـت إليّ، قالت: وماذا يـا أباه؟ قال: يا بنيّـة، أتقدّمين إلى أبيك إدامين في فرد طبـق واحد؟ أتريدين أن يطـول وقوفي غداً بين يدَي الله عزَّ وجـلَّ يوم القيامة؟! أنا أريد أن أتبـعَ أخي وابنَ عمّي رسولَ الله ﷺ، مـا قُدِّمَ إليه إدامان في طبق واحد إلى أن قبضه الله، يا بنيّة، ما مِنْ رجُل طاب مطعمُه ومشربُه وملبسُه إلّا طـال وقوفُه بين يدَي الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة، يا بنيّة، إنّ الدنيا في حلالها حساب، وفي حرامها عقاب..

يا بنيّة، والله لا آكل شيئاً حتّى ترفعي أحد الإدامين، فلمّا رفعته تقـدّم إلى الطعام فأكل قرصاً واحداً بالملح الجريش، ثمّ حمد الله وأثنـى عليـه، ثمّ قـام إلى صلاته فصلّـى ولم يزل راكعـاً وساجداً ومبتهـلاً ومتضرّعاً إلى الله سبحانـه، ويكثر الدخول والخروج وهو ينظر إلى السماء...، ثمّ رقدَ هنيئة وانتبه.. ونهضَ قائماً على قدميه وهـو يقـول: «**اللهمّ بارك لنـا في لقائك**» ويكثر مـن قول: «**لا حول ولا قـوّة إلّا بـالله العليّ العظيم**»، ثـمّ صلّى حتّى ذهب بعضُ الليل، ثمّ جلس للتعقيب، ثمّ نامت عيناه وهو جالس، ثمّ انتبه من نومته..

.. ولـم يـزل تلك الليلـة قائماً وقاعـداً وراكعاً وساجـداً، يخرج ساعـة بعد ساعـة يقلّب طرفه في السماء وينظـر في الكواكب وهو يقـول: والله مـا كَذَّبتُ ولا كُذِّبـت، وإنّها الليلة التي وُعِـدتُ بها، ثمّ يعـود إلى مصلّاه ويقول: اللهمّ بارك لي في الموت، ويكثر من قول: «**إنا لله وإنا إليه راجعون ولا حولَ ولا قوّةَ إلّا بالله العليّ العظيم**» ويصلّي على النبيّ وآله، ويستغفر الله كثيراً.

ولَمّـا قرب الفجر أسبغ الوضـوء وقام ولبس ثيابه وفتح بابه، ثمّ نـزل إلى الـدار وكان في الدار إوزّ قد أُهـدي إلى الحسين عليه السلام، فلمّـا نزل خرجـن وراءه ورفرفن وصِحْنَ فـي وجهه، وكان قبل تلك الليلـة لم يصحن، فقال عليه السلام: لا إله إلّا الله صوارخ تتبعها نوائح، وفي غداة غدٍ يظهر القضاء..

ولمّا وصل إلـى الباب عالجه ليفتحه فتعلّق الباب بمئزره فانحلَّ مئزره حتّى سقط، فأخذه وشدَّه وهو يقول:

(أُشْـدُدْ) حيازيمك لِلْمَوْتِ فَـــإنَّ الـــمَـــوْتَ لَاقِـيْـكَـا
وَلَا تَـجْـزَعْ مِـنَ الْـمَـوْتِ إِذَا حَـــلَّ بِـنَـادِيْـكَـا
وَلَا تَـغْـتَـرَّ بِـالْـدَّهْـرِ وَإِنْ كَـــانَ يُـوَاتِـيْـكَـا
كَـمَـا أَضْـحَـكَـكَ الـدَّهْـرُ كَـــذَاكَ الْـدَّهْـرُ يُـبْـكِـيْـكَـا

ثمّ قـال: اللهمّ بارك لنا في الموت، اللهـمّ بارك لي في لقائك. قالـت أم كلثـوم: وكنت أمشي خلفه، فلمّا سمعتـه يقول ذلك، قلت: وا غوثـاه يا أبتاه، أراك تَنْعَىٰ نفسك منذ الليلة. قال: يا بنيّة، ما هو

بنعاء، ولكنّهـا دلالات وعلامات للموت تتبع بعضها بعضاً، فأمسكي عن الجواب، ثمّ فتح الباب وخرج.

وسار أمير المؤمنين عليه السلام حتّـى دخل المسجد، والقناديل قد خمـد ضوؤها، فصلّى فـي المسجد وِرده وعقَّب ساعـة، ثمّ إنّه قام وصلّـى ركعتين، ثمّ علا المئذنة ووضـع سبّابتيه في أذنيه وتنحنح، ثـمّ أذّن: (الله أكبـر، الله أكبـر) وكان عليه السلام إذا أذّن لـم يبق في بلدة الكوفة بيت إلّا اخترقه صوته..

فلمّـا أذّن عليه السلام ونـزل من المئذنـة جعل يسبّـح الله ويقدّسه ويكبّـره ويكثر من الصلاة على النبـيّ صلى الله عليه وآله. قال الراوي: وكان من كرم أخلاقه عليه السلام أنّه يتفقّد النائمين في المسجد، ويقول للنائم: الصـلاة يرحمك الله الصـلاة، قم إلى الصـلاة المكتوبة عليك، ثمّ يتلـو عليه السلام: «**إنّ الصلاة تنهى عن الفحشـاء والمنكر**»، ففعل ذلك كما كان يفعله على مجـاري عادته مع النائمين في المسجد، حتّـى إذا بلغ إلـى الملعون ابن ملجـم فرآه نائماً علـى وجهه، قال لـه: يا هذا، قم مـن نومك هذا فإنّها نومـة يمقتها الله، وهي نومة الشيطـان ونومة أهل النّار، بل نم علـى يمينك فإنّها نومة العلماء، أو على يسارك فإنّها نومة الحكماء، ولا تنم على ظهرك فإنّها نومة الأنبياء.

فتحـرّك الملعـون كأنّـه يريـد أن يقـوم وهـو مـن مكانه لا يبـرح، فقال له أمير المؤمنيـن عليه السلام: لقد هممت بشيء تكاد

السمـاوات يتفطّرن منه وتنشقّ الأرض وتخرّ الجبال هدّا، ولو شئت لأنبأتك بما تحت ثيابك، ثمّ تركه وعدل عنه إلى محرابه، وقـام قائمـاً يصلّـي، وكان عليه السلام يطيل الركـوع والسجود في الصـلاة كعادتـه فـي الفرائض والنوافـل حاضراً قلبـه، فلمّا أحسّ به نهض الملعون مسرعاً وأقبل يمشـي حتّى وقف بإزاء الأسطوانة التي كان الإمام عليه السلام يصلّي عليها..

كبّر الإمام تكبيرة الإحرام: الله أكبر..

قـرأ الحمـد والسـورة، ركـع: سبحان ربّـي العظيـم وبحمده.. سمع الله لمن حَمِدَهْ..

سجد السجدة الأولى: سبحان ربّي الأعلى وبحمده..

فعنـد ذلـك أخـذ اللعيـن السيف وهـزّه، ثـمّ ضربه علـى رأسه الشريف..

وأخذت إلى مفرق رأسه إلى موضع السجود، فلمّا أحسّ الامام بالضـرب لم يتأوّه وصبر واحتسب، ووقع على وجهه قائلاً: بسم الله وبالله وعلى ملّة رسول الله،

فزت وربّ الكعبة..

قتلني ابن ملجم، قتلني اللعين ابن اليهوديّة وربِّ الكعبة، أيّها الناس لا يفوتنّكم ابن ملجم..

وثار إليه كلّ مـن كان في المسجد، وصاروا يدورون ولا يدرون أيـن يذهبون مـن شدّة الصدمـة والدهشـة، ثمّ أحاطـوا بأمير

المؤمنين عليه السلام وهو يشدّ رأسه بمئزره، والدم يجري على وجهه ولحيته، وقد خُضِّبَتْ بدمائه وهو يقول: هذا ما وعد الله ورسوله، وصدق الله ورسوله.

قال الراوي: فاصطفقت أبواب الجامع، وضجّت الملائكة في السماء بالدعاء، وهبّت ريح عاصف سوداء مظلمة، ونادى جبرئيل عليه السلام بين السماء والأرض بصوت يسمعه كلّ مستيقظ: «**تهدّمت والله أركان الهدى، وانطمست والله نجوم السماء وأعلام التقى، وانفصمت والله العروة الوثقى، قُتل ابن عمّ محمّد المصطفى، قُتل الوصيّ المجتبى، قُتل عليّ المرتضى، قُتل والله سيّد الأوصياء، قتله أشقى الأشقياء**».

جبريل نادى بالسما ركن الهدى طاح

انقتل ابن عم النبي وثاني الأشباح

انضرب راسه وسال بالمحراب دمه

والسيف مسموم سرى في الجسد سمّه

يا حيف ما خلوه لصيامه يتمّه

اتكوّر بمحرابه وفزت يا هالخلق صاح

ولمّا سمعت أمّ كلثوم نعي جبرئيل.. صاحت: وا أبتاه وا عليّاه وا محمّداه وا سيّداه، ثمّ أقبلت إلى أخويها الحسن والحسين وقالت لهما: لقد قتل أبوكما..

تگللهم يخوتي راح ابوكم

عگب عينه يخوتي اشلون بيكم

عزكم راح يا ويلي عليكم

كهف هاي الأرامل والمساكين

فخرج الحسنان إلى المسجد وهما يناديان: وا أبتاه واعليّاه ليت الموت أعدمنا الحياة، فحُمِلَ الإمام وجاؤوا به إلى منزله..ساعد الله قلب زينب وأمّ كلثوم وباقي العلويّات اللواتي كنّ واقفات على باب الدار ينتظرنه، فلمّا رأينه بتلك الحالة بكين وقلن: وا أبتاه، وا مصيبتاه..

ونّت او نادت يالمقبلين

هالشايلينه اوياكم امنين

اسمع ندب واصياح صوبين

خوفي انگتل عودي يطيبين

لمن سمعها الحسن وحسين

صاحوا يزينب زيدي الونين

ابوك انطبر والراس نصين

صاحت او هلّت دمعة العين

يا عيد الأقبل عالمسلمين

عگبك يبويه او جوهنه وين

وأحضروا له الطبيب، ولمّا كشف عن جرحه استعبر وبكى وقال: إعهد عهدك يا أمير المؤمنين، فإنّ الضربة وصلت إلى الدماغ..

وفي ليلة وفاته اجتمع أهله وعياله فنظر إليهم فرآهم تكاد أنفسهم تزهق من النوح والبكاء، فجرت دموعه، وقال للحسن والحسين عليهما السلام: أتبكيانِ عليَّ؟..أمّا أنت يا أبا محمّد فستُقتل مظلوماً مسموماً مضطهداً، وأمّا أنت يا أبا عبد الله فشهيد هذه الأمّة وسوف تذبح ذبح الشاة..

وأقبلت إليه أمّ كلثوم وزينب عليهما السلام وهما تندبانه وتقولان: من للصغير حتّى يكبر؟ ومن للكبير بين الملأ؟ يا أبتاه، حزننا عليك طويل، وعبرتنا لا تبرح ولا ترقأ. فضجّ من كان حاضراً بالبكاء وفاضت دموع أمير المؤمنين عليه السلام على خدّيه، وهو يقلّب طرفه وينظر إلى أهل بيته..

هالليله ابونه امسى ابشده

او جرحه الذي ابراسه مضهده

والسم لعد جسمه تعده

وابروحه اشوفه ايلوج وحده

وبعد أن تزايد ولوج الدم في جسده الشريف، واحمرّت قدماه، وكانت شفتاه تختلجان بذكر الله تعالى، وعرض عليه الأكل والشرب فأبى، وجعل جبينه يرشح عرقاً وهو يمسحه، فقال له ولده محمّد ابن الحنفيّة: أراك تمسح جبينك؟! فقال: يا بنيّ، إنّي سمعت رسول

الله ﷻ يقول: إنّ المؤمن إذا نزل به الموت عرق جبينه وسكن أنينُه..ثمّ نادى أولاده كلّهم بأسمائهم، صغيراً وكبيراً واحداً بعد واحد، وجعل يودّعهم ويقول: الله خليفتي عليكم، أستودعكم الله. وهم يبكون..

أحسن الله لكم العزاء، ألا وإنّي منصرف عنكم في ليلتي هذه، ولاحق بحبيبي رسول الله ﷺ كما وعدني، ثمّ غُشي عليه، ولمّا أفاق قال: هذا رسول الله ﷺ، وعمّي حمزة، وأخي جعفر، وأصحاب رسول الله ﷺ، كلّهم يقولون: عجّل قدومك علينا، فإنّا إليك مشتاقون.

ثمّ أدار عينيه في أهل بيته كلّهم، وقال: أستودعكم الله جميعاً، سدّدكم الله جميعاً، حفظكم الله جميعاً، الله خليفتي عليكم، وكفى بالله خليفة، ثمّ قال: وعليكم السلام يا رُسُلَ ربّي، لمثل هذا فليعمل العاملون، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾، وعرق جبينه، وما زال يذكر الله كثيراً، آجركم الله، ثمّ غمّض عينيه ومدّ يديه ورجليه، وقال: أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله..ثمّ قضى نحبه..

رحم الله من نادى: وا إماماه..وا عليّاه..وا شهيداه..وا مظلوماه..

لَا كَانَ يَوْمُكَ يَا عَلِيُّ فَإِنَّهُ يَوْمٌ بِهِ الدِّيْنُ الْحَنِيْفُ مُضَعْضَعُ
أَصْمَىٰ مُصَابُكَ قَلْبَ كُلِّ مُوَحِّد وَأَصَمَّ نَعْيُكَ كُلَّ أُذْنٍ تَسْمَعُ

* * *

مجلس شهادة

الإمام الحسن عليه السلام

يَـا دَمْـعُ سُحَّ بِـوَبْـلِـكَ الْهَتِنِ لِتَحُولَ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْوَسَنِ
كَيْفَ الْعَزَاءُ وَلَيْسَ وَجْدِيَ مِنْ فَقْدِ الْأَنِيْسِ وَوَحْشَةِ الْدِّمَنِ
أَوَ مَا نَظَرْتَ إِلَـىْ صَفِيِّ بَنِيْ مُضَرَ الْـكِـرَامِ وَخَـيْـرِ مُؤْتَمَنِ
شِبْلُ الْوَصِيِّ وَفَـرْخِ فَاطِمَةٍ وَابْـنِ الْنَّبِيِّ وَسِبْطِهِ الْحَسَنِ
كَمْ نَالَ بَعْدَ أَبِيْهِ مِنْ غُصَصٍ يَطْوِي الْضُّلُوْعَ بِهَا عَلَىْ شَجَنِ
لَـهْـفِـيْ لَـهُ مِـنْ وَاجِـدٍ كَمِدٍ مُسْتَضْعَفٍ فِيْ الْأَرْضِ مُمْتَهَنِ
مَا أَبْصَرَتْ عَيْنٌ وَلَا سَمِعَتْ أُذْنٌ بِمَنْ سَـاوَاهُ فِـيْ الْمِحَنِ
يَـرعَـىْ عِـدَاهُ بِعَيْنِهِ وَيَـعِـي شَتْمَ الْـوَصِـيِّ أَبِـيْـهِ فِـيْ أُذُنِ
وَقَـدِ ارْتَـدَىْ بِالْصَّبْرِ مُشْتَمِلاً بِالْحِلْمِ مُحْتَفِظاً عَلَىْ الْسُّنَنِ
حَتَّىْ سَقَوْهُ الْسُّمَّ فَاقْتَطَعُوْا مِـنْ دَوْحِ أَحْـمَـدَ أَيَّـمَـا غُصُنِ!
سُـمّـاً يُـقَـطِّـعُ قَـلْـبَ فَـاطِـمَـةٍ وَجْـداً عَلَىْ قَلْبِ ابْنِهَا الْحَسَنِ
وَهَـوَىْ شَهِيْداً صَابِراً فَهَوَتْ حُزْناً عَلَيْهِ كَـوَاكِـبُ الْـدَّجَـنِ[1]

(١) القصيدة للسيّد رضا الهنديّ رحمه الله.

شعبي:

كبد الحسن متقطعه ابسم المنية

أصبح يعالج واصبحت زينب شجية

دخلت عليه وعاينت له ايلوج وحده

عنده اخوه حسين دمعه فوق خده

آمر اختّيه ايشيل طشت البيه كبده

شيله يخويه لا تشوفه الهاشمية

شيل الطشت خاف الوديعة تشوف كبدي

يخوفي تحن ومن بكاها يزيد وجدي

هذي وديعة والدي حيدر وجدّي

مقدر اشوف ادموعها ابخدها جرّية

أبوذيّة:

الليلة ماتم المسموم ينصاب

او خل دمعك عليه ادموم ينصاب

مثل كبد الحسن ما شفت ينصاب

ابنبل يرموه نعش ابن الزكية

لمّا عزم معاوية على قتل الإمام الحسن عليه السلام، أرسل إلى ملك الروم ليرسل إليه شربة من السمّ القتّال، ففعل.. وبعث معاوية إلى جعدة بنت الأشعث بن قيس بمال جسيم، وجعل يعدها بأن يعطيها مائة ألف درهم، ويزوّجها من ابنه يزيد، وحمل إليها ذلك السمّ لتسقيه الإمام الحسن عليه السلام..

وفي يوم من أيّام الصيف الحارّ، كان الإمام عليه السلام صائماً، ولمّا انصرف إلى منزله لتناول طعام الإفطار أخرجت له شربة من اللبن كانت قد ألقت فيه ذلك السمّ، ولمّا حان وقت الإفطار شرب الإمام ذلك اللبن المسموم، ولمّا أحسّ بحرارة السمّ قال: يا عدوّة الله! قَتَلْتِني قتلك الله...

وبقي الإمام على فراش المرض يعاني حرارة السمّ، يتقلّب يميناً وشمالاً، وهو يتقيّأ دماً ويخرج ما في أحشائه قطعة قطعة، يُوضع له طَسْتٌ ويُرفعُ آخَر..

وجاؤوا له بالطبيب ليتولّى معالجته، فلمّا نظر إلى حالته قال: هذا رجل قد قطَّع السمّ أمعاءه..

ودخل الحسين عليه السلام يوماً إلى الحسن عليه السلام، فلمّا نظر إليه بكى، فقال له: ما يبكيك يا أبا عبد الله؟ قال: أبكي لما يصنع بك. فقال له الحسن عليه السلام: إنّ الذي يُؤتى إليّ سمٌّ يُدسُّ إليّ فأقتل به، ولكن لا يوم كيومك يا أبا عبد الله، يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل، يدّعون أنّهم من أمّة جدّنا محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، وينتحلون دين الإسلام،

فيجتمعون على قتلك، وسفك دمك، وانتهاك حرمتك، وسبي ذراريك ونسائك، وانتهاب ثقلك، فعندها تحلّ ببني أميّة اللعنة، وتمطر السماء رماداً ودماً، ويبكي عليك كلّ شيء حتّى الوحوش في الفلوات، والحيتان في البحار..

يگله يا عضيدي يبو امحمّد

كبدك من نجيع السم تمرّد

يخويه اليوم طاغي الشام عيّد

واعلى قلبي يخويه اتراكم الهم

ثمّ جعل يوصي أخاه الحسين عليه السلام: يا أخي إنّي مفارقك ولاحق بربّي عزَّ وجلَّ وقد سُقيتُ السمّ، ورَميتُ بكبدي في الطست، وإنّي لعارف بمن سقاني السمّ، ومن أين دهيتُ، وأنا أخاصمه إلى الله تعالى..

فإذا قضيت فغمّضني وغسّلني وكفّنّي واحملني على سريري إلى قبر جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأجدّد به عهداً، ثمّ ردّني إلى قبر جدّتي فاطمة بنت أسد رحمة الله عليها فادفنّي هناك. وستعلم يا ابن أمّ أنّ القوم يظنّون أنّكم تريدون دفني عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فيجلبون في منعكم عن ذلك، وبالله أقسم عليك أن تهريق في أمري محجمة دم..

ولمّا جرى السمّ في بدنه تغيّر لونه واخضرَّ واعتنقه الحسين عليه السلام طويلاً وبكيا..

قالوا: وبينما هما كذلك، وإذا بالعقيلة زينب وباقي الهاشميّات

جئن لعيادة الإمام عليه السلام، فالتفت الحسن عليه السلام إلى أخيه الحسين قائلاً: أخي أبا عبد الله، نحِّ هذا الطَّشْتَ عنّي لئلّا تراه أختنا زينب.

يحسين شيل الطشت عني
خواتك يبو السجاد اجنّي

يردن يشبعن شوف مني
ويردن يخويه ايودعني

وينوحن علّي وينديني

ولمّا دنت وفاته، قال: أخرجوا فراشي إلى صحن الدار، فأخرجوه، فقال: أللهمّ إنّي أحتسب نفسي عندك، فإنّي لم أصب بمثلها.

قالوا: ولمّا حضرته الوفاة قال لأخيه الحسين عليه السلام: أحضر لي أولادي وأهلي، فأحضرهم الحسين عليه السلام عنده فأدار عينيه فيهم، وجعل يوصيهم بالحسين عليه السلام وأنّه الإمام من بعده، ويقول: هذا الحسين إمام بعدي فلا إمام غيره..وهو خليفتي عليكم..ثمّ التفت إلى الحسين عليه السلام وإلى إخوته وحرمه وأولاده وقال: حفظكم الله، أستودعكم الله، الله خليفتي عليكم، وكفى به خليفة، وإنّي منصرف عنكم، ولاحق بجدّي وأبي وأمّي وأعمامي..

ووضع الحسين عليه السلام يده في يد أخيه الحسن عليه السلام، فلمّا كان بعد ساعة غمز يده غمزاً خفيفاً.. ثمّ قال: عليكم السلام يا ملائكة

ربي ورحمــة الله وبركاته، ثمّ سكن أنينه، وعــرق جبينه، ومدَّ يديه ورجليه، وغمّض عينيه، وفارقت روحه الدنيا..

وا إماماه..وا سيّداه.. وا حسناه..

ونادى الحسين عليه السلام: وا أخاه وا حسناه وا قلّة ناصراه..

حــن احســين أويلــي وصفــك بيده

او ونّ ونّــات المفــارگ عضيــده

يگلــه العمــر مــن بعــدك مــا ريــده

يخويــه اليــوم عدوانــك معيديــن

وضــجّ الناس ضجّة عظيمــة.. وصار كيوم مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وارتجّــت المدينة والناس تصيح من كلّ جانب فــلا يلقى إلّا باكياً، وخــرج أولاد الإمام وإخوته يبكون وينوحون، وخرج بنو هاشم رجالاً ونساءً يبكون عليه..

مات سبط المصطفى او صارت ابطيبة زلزلة

هــذا يصــرخ ذاك يلطــم ذا دموعــه ســايله

اوصوّت الناعي ابسككها مات سبط المصطفى

ســمته جعدة اللعينة او غــاب نوره وانطفى

أحزنت قلــب الموالي والعدو قلبه اشــتفى

ألف وســفه اعلى الزكي أظلــم يويلي منزله

ثــمّ قــام الإمام الحسيــن عليه السلام بتغسيلــه وتكفينه كمــا أوصاه الإمــام الحسن عليه السلام، وصلّــى عليه، وحملوه علــى سرير متّجهين

بـه إلى مثـواه الأخير قرب جدّه رسـول الله ﷺ، لكنّ القوم وفيهم مروان بن الحكم وبنو أميّـة، حملوا السلاح وتجمّعوا ومنعوا الإمام من أن يدفن إلى جوار جدّه..

ثـمّ، عظّم الله لكـم الأجر، رُميتْ جنـازة الإمـام بالنبال، قال الراوي: حتّى سُلَّ منها سبعون سهماً..

فرح ما شـفت طـول العمـر بس هم

ولا جـفّ الدمـع بالعيـن بسـهم

وسافه الحسن نعشـه انضرب بسهم

او دفنـه انمنـع يـم سـيد البريـة

وكادت الفتنـة أن تقـع بيـن بنـي هاشـم وبنـي أميّـة، فقال الحسين عليه السلام: والله لـولا عهد الحسن إليّ بحقن الدماء، وأن لا أهريـق في أمره محجمـة دم، لعلمتم كيف تأخـذُ سيوفُ الله منكم مأخذها!

فمضوا بالجنازة إلى البقيع ودفنوه بجوار قبر جدّته فاطمة بنت أسد رضوان الله عليها.

وهناك عند القبر لمّا وضع الإمام الحسن في لحده، وقف الإمام الحسين عليه السلام يرثي أخاه قائلاً:

أَأَدْهَنُ رَأْسِيْ أَمْ تَطِيْبُ مَجَالِسِيْ وَرَأْسُـكَ مَعْفُوْرٌ وَأَنْـتَ سَلِيْبُ؟
أَوْ اسْتَمْتِعُ الدُّنْيَا لِشَيْءٍ أُحِبُّهُ؟ أَلَا كُلُّ مَا أَدْنَـىٰ إِلَيْكَ حَبِيْبُ

فَلَا زِلْتُ أَبْكِي مَا تَغَنَّتْ حَمَامَةٌ عَلَيْكَ وَمَا هَبَّتْ صَبَاً وَجَنُوْبُ

وَمَا هَمَلَتْ عَيْنِيْ مِنَ الْدَّمْعِ قَطْرَةً وَمَا اخْضَرَّ فِيْ دَوْحِ الْحِجَازِ قَضِيْبُ

بُكَائِيْ طَوِيْلٌ وَالْدُّمُوْعُ غَزِيْرَةٌ وَأَنْتَ بَعِيْدٌ وَالْمَزَارُ قَرِيْبُ

غَرِيْبٌ وَأَطْرَافُ الْبُيُوْتِ تَحُوْطُهُ أَلَا كُلُّ مَنْ تَحْتَ الْتُّرَابِ غَرِيْبُ

وَلَا يَفْرَحُ الْبَاقِيْ خِلَافَ الَّذِيْ مَضَىْ وَكُلُّ فَتَىً لِلْمَوْتِ فِيْهِ نَصِيْبُ

فَلَيْسَ حَرِيْباً مَنْ أُصِيْبَ بِمَالِهِ وَلَكِنَّ مَنْ وَارَى أَخَاهُ حَرِيْبُ

نَسِيْبُكَ مَنْ أَمْسَىْ يُنَاجِيْكَ طَرْفُهُ وَلَيْسَ لِمَنْ تَحْتَ التُّرَابِ نَسِيْبُ

* * *

مجلس شهادة

الإمام الحسين عليه السلام

وَمُذْ أَيْقَنَ السِّبْطُ انْمَحَىْ دِيْنُ جَدِّهِ ... وَلَمْ يَبْقَ بَيْنَ الْقَوْمِ فِيْ الْأَرْضِ مُسْلِمُ

فَدَىْ نَفْسَهُ فِيْ نُصْرَةِ الدِّيْنِ خَائِضاً ... عَنِ الْمُسْلِمِيْنَ الْغَامِرَاتِ لِيَسْلَمُوْا

وَقَالَ: خُذِيْنِيْ يَا حُتُوْفُ وَهَاكِ يَا ... سُيُوْفُ فَأَوْصَالِيْ لَكِ الْيَوْمَ مَغْنَمُ

وَكَرَّ وَقَدْ ضَاقَ الْفَضَا وَجَرَى الْقَضَا ... وَسَالَ بِوَادِي الْكُفْرِ سَيْلٌ عَرَمْرَمُ

وَمُذْ خَرَّ بِالتَّعْظِيْمِ لِلّٰهِ سَاجِداً ... لَهُ كَبَّرُوْا بَيْنَ السُّيُوْفِ وَعَظَّمُوْا

وَجَاءَ إِلَيْهِ الشِّمْرُ يَرْفَعُ رَأْسَهُ ... فَقَامَ بِهِ عَنْهُ السِّنَانُ الْمُقَوَّمُ

تَزَلْزَلَ عَرْشُ اللهِ وَانْحَطَّ نُوْرُهُ ... فَأَشْرَقَ وَجْهُ الْأَرْضِ وَالْكَوْنُ مُظْلِمُ

وَلَهْفِيْ لَهُ فَرْداً عَلَيْهِ تَزَاحَمَتْ ... جُمُوْعُ الْعِدَىْ تَزْدَادُ جَهْلاً فَيَحْلُمُ

وَلَهْفِيْ لَهُ ظَامٍ يَجُوْدُ وَحَوْلَهُ ... الْفُرَاتُ جَرَىْ طَامٍ عَلَيْهِ يُحَرَّمُ

وَلَهْفِيْ لَهُ مُلْقىً وَلِلْخَيْلِ حَافِرٌ ... يَجُوْلُ عَلَىْ تِلْكَ الضُّلُوْعِ وَيَنْسِمُ

وَلَهْفِيْ عَلَىْ أَعْضَاكَ يَا بْنَ مُحَمَّدٍ ... تُوَزَّعُ فِيْ أَسْيَافِهِمْ وَتُسَهَّمُ

فَجِسْمُكَ مَا بَيْنَ السُّيُوْفِ مُوَزَّعٌ ... وَرَحْلُكَ مَا بَيْنَ الْأَعَادِيْ مُقَسَّمُ[1]

(١) القصيدة للحجّة الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء قدّس سرّه.

شعبي:

يجدي گـوم هـذا احسـين مذبوح

على الشـاطي او على التربان مطروح

يجـدي ما بگت له مـن الطعن روح

يجـدي قلـب اخويـه احسـين فطّر

يجـدي مـات محّـد وقـف دونـه

ولا نعّـار غمضلـه اعيونـه

وحيـد ايعالـج او منخطـف لونـه

ولا واحـد ابحلگـه مـاي گطّـر

يجـدي مـات محّـد مـدّد ايديـه

ولا واحـد يجـدي عـدل رجليـه

يعالـج بالشـمس محّـد گـرب ليـه

يحطلـه اظـلال يجـدي مـن الحـر

أبوذيّة:

يشيعه احسـين صابه السـهم ورداه

انذبـح مـا ذاق مـن المـاي ورداه

تاجـه انسـلب يـا كـرار ورداه

وحريمـه اتيسـرت بالغاضريـة

لمّـا قتل أصحاب الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته ولم يبق معه أحـد، نظر إلـى أهله وصحبـه مجزّرين كالأضاحـي، وهو مع ذلك يسمع عويل الأيامى وصراخ الأطفال فنادى:

هـل من ذابٍّ عن حرم رسـول الله؟ هل من موحّدٍ يخاف الله فينا؟ هل من مغيثٍ يرجو الله في إغاثتنا؟ فارتفعت أصوات النساء بالبكاء..

تنـادي يخويـه اومالـك امعيـن

اوقومـك علـى الرمضـه مطاعيـن

أنـه امنين أجيـب المرتضـى امنين

عـن كربـلا بويـه غبـت ويـن

فـزعـوا فـرد فـزعـة عـلـى احسـيـن

ثـمّ وقـف بباب خيمة النسـاء مودّعـاً، ونادى: يا زينـب، ويا أم كلثـوم، ويا فاطمة، ويـا سكينة، عليكنّ منّي السـلام.. فأقبلن إليه ودرن حوله..

رد واعيالـه امـن العطـش يومـن

اوصـاح ابصـوت للتوديـع گومـن

او مثـل سـرب القطا گامـن يحومن

تطيـح عليـه وحدتهـن او تعثـر

والتفـت الحسيـن عليه السلام إلى ابنتـه سكينة فرآهـا منحازة عن النسـاء وقد رفعت صوتها بالبكاء، فضمّها إلى صدره، وجعل يمسح دموعها بكمّه، وكان يحبّها حبّاً شديداً، وجعل يقول:

سَيَطُولُ بَعْدِي يَا سُكِينَةُ فَاعْلِمِي مِنْكِ الْبُكَاءُ إِذَا الحِمَامُ دَهَانِي
لَّا تُحْرِقِي قَلْبِي بِدَمْعِكِ حَسْرَةً مَا دَامَ مِنِّي الـرُّوحُ فِي جُثْمَانِي
فَـإِذَا قُتِلْتُ فَأَنْتِ أَوْلَـى بِالذِي تَـأْتِـيـنَـهُ يَـا خِـيَـرَةَ الـنِّـسْـوَانِ

يبويـه انـروح كل احنـه فدايـاك
دخذنـه للحـرب يحسـين ويـاك

أهـي غيبـه يبويـه واگعـد اتنـاك
وگولـن سـافر ويومين يسـدر

يبويـه گـول لا تخفـي علّيـه
ذي روحتـك يـو بعـد جّيـه

يبويـه ان كان رايـح هـاي هّيـه
اخذنـي اويـاك عنّـك مكـدر اصبر

وبعـد أن ودّع عياله، تقدّم نحو القوم مصلتاً سيفه، ودعا الناس إلى البراز. فلم يزل يقتل كلّ من برز إليه حتّى قتل جمعاً كثيراً..

وحمل على الميمنة وهو يقول:

أَلْمَوْتُ أَوْلَـىْ مِنْ رُكُوْبِ الْعَارِ وَالْـعَـارُ أَوْلَـىْ مِـنْ دُخُـوْلِ النَّارِ

وحمل على الميسرة وهو يقول:

أَنَـا الْـحُـسَـيْـنُ بْـنُ عَـلِـيْ اَلَـيْـتُ أَنْ لَا أَنْـثَـنِـي
أَحْـمِـيْ عِـيَـالَاتِ أَبِـيْ أَمْـضِـيْ عَـلَـىْ دِيْـنِ النَّبِي

قَـالَ الـراوي: مـا رأيـت مكثوراً قـطّ، قد قُتـل ولده وأهـل بيته

وصحبه، أربط جأشاً منه ولا أمضى جَناناً، ولا أجرأ مقدماً، ولقد كانت الرجال تنكشف بين يديه إذا شدّ فيهم، ولم يثبت له أحد..

وصاح عمر بن سعد: هذا ابن الأنزع البطين، هذا ابن قتّال العرب، إحملوا عليه من كلّ جانب..فأتته النبال من كلّ جانب، وحيل بينه وبين رحله..

فصاح بهم: ويلكم يا شيعة آل أبي سفيان، إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون يوم المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم هذه، وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عرباً كما تزعمون، فناداه شمر: ما تقول يا ابن فاطمة؟ فقال: أقول: إنّي أقاتلكم وتقاتلونني والنساء ليس عليهن جناح، فامنعوا عتاتكم وجهّالكم وطغاتكم من التعرّض لحرمي ما دمت حيّاً، فقال شمر: لك ذلك يا ابن فاطمة، ثمّ صاح: إليكم عن حرم الرجل واقصدوه بنفسه فلعمري هو كفو كريم، فقصدوه..

وهكذا كان الإمام يحمل عليهم ويحملون عليه، فلا يلحق أحداً إلّا شقّه بسيفه فقتله، والسهام تأخذه من كلّ ناحية، وهو يتّقيها بصدره ونحره، ويرجع إلى مركزه ويكثر من قول: لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم..

إلى أن رماه أبو الحتوف الجعفيّ بسهم في جبهته، فنزعه وسالت الدماء على وجهه..فقال: أللهمّ إنّك ترى ما أنا فيه من عبادك هؤلاء العصاة، أللَّهمَّ أَحْصِهم عدداً واقتلهم بدداً ولا تذَرْ

على وجه الأرض منهم أحداً، ولا تغفر لهم أبداً.

ولمّـا ضعف عـن القتال وقـف يستريح فرماه رجـل بحجر على جبهتـه فسال الدم على وجهه..فرفع رأسه ليمسح الدم عن عينيه، فرماه آخر بسهم محدّد له ثلاثُ شعب فوقع على جهة قلبه..

شـال الثـوب يمسـح دم جبينـه

اوشـابح للحـرب والخيـم عينـه

أتـاري اعـداه كبـده امعينينـه

رمـوه ابسـهم لكن ناجع ابسـم

فقال: بسم اللّه وباللّه وعلى ملّة رسول اللّه، ورفع رأسه إلى السماء وقـال: إلهي إنّك تعلـم أنّهم يقتلون رجلاً ليس على وجه الأرض ابنُ بنـت نبيٍّ غيـره.. ثمّ أخرج السهم فانبعث الـدم كالميزاب، فوضع يده تحت الجرح فلمّا امتلأت دماً رمى به نحو السماء وقال: هوَّن ما نزل بي أنّه بعين اللّه.. فلم يسقط من ذلك الدم قطرة إلى الأرض.. ثـمّ وضعها ثانياً، فلمّا امتلأت لطّخ بها رأسه ووجهه ولحيته، وقال: هكـذا أكون حتّـى ألقى جدّي رسـول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم، وأنا مخضّب بدمي، وأقول: يا جدّي قتلني فلان وفلان.. السلام على الشَّيب الخضيب..

إلـى أن أعياه نزف الدم والجراحـات، وصار مطروحاً على ثرى كربلاء، وبقي كذلك مليّاً، ولو شاؤوا أن يقتلوه لقتلوه إلّا أنّ كلّ قبيلة تتّكل على غيرها، وتكره الإقدام..

فعندها صاح شمر بالناس: ويحكم، ما تنتظرون بالرجل، اقتلوه

ثكلتكم أمهاتكم.. فحملوا عليه من كلّ جانب..هذا يضربه على كتفه والآخر على عاتقه، وثالث طعنه بالرمح في ترقوته، ورابع رماه بسهم وقع في نحره، وخامس ضربه بالرمح في خاصرته، إلى أن غشي عليه..

ولمّا اشتدّ به الحال رفع طرفه إلى السماء وقال: صبراً على قضائك يا ربّ، لا إله سواك، يا غِياث المستغيثين...

وأقبل فرس الحسين عليه السلام يدور حوله ويلطّخ عرفه وناصيته بدمه، ويشمّه ويصهل صهيلاً عالياً. وعن الإمام الباقر عليه السلام، أنّه كان يقول في صهيله: الظليمة الظليمة، من أمّة قتلت ابن بنت نبيّها.

وتوجّه نحو الخيام بذلك الصهيل: فلمّا (رأتِ) النساء جوادك مخزيّاً، ونظرن سرجك عليه ملويّاً، برزن من الخدور.. على الخدود لاطمات.. وبالعويل داعيات، وبعد العزّ مذلَّلات، وإلى مصرعك مبادرات..

فَوَاحِدَةٌ تَحْنُوْ عَلَيْهِ تَضُمُّهُ وَأُخْرَىْ عَلَيْهِ بِالرِّدَاءِ تُظَلِّلُ
وَأُخْرَىْ بِفَيْضِ النَّحْرِ تَصْبَغُ وَجْهَهَا وَأُخْرَىْ تُفَدِّيْهِ وَأُخْرَىْ تُقَبِّلُ
وَأُخْرَىْ عَلَىْ خَوْفٍ تَلُوْذُ بِجَنْبِهِ وَأُخْرَىْ لِمَا قَدْ نَالَهَا لَيْسَ تَعْقِلُ

وخرجت زينب عليها السلام ومن خلفها النساء والأرامل واليتامى من الفسطاط إلى جهة المعركة، وهي تنادي: وا محمّداه، وا عليّاه، وا جعفراه، وا حمزتاه، وا سيّداه، هذا حسين بالعراء، صريع بكربلاء، ليت السماء أطبقت على الأرض، وليت الجبال تدكدكت

علـى السهل. وانتهت نحـو الحسين عليه السلام، وقد دنـا منه عمر بن سعـد، والحسين عليه السلام يجود بنفسه، فصاحت به: أي عمر، أيُقتل أبـو عبد الله وأنت تنظر إليه؟ فصرف بوجهه عنها، ودموعه تسيل على وجهه ولحيته.

فعند ذلك صاحت زينـب بالقوم: ويحكم، أَمَا فيكم مسلم؟ فلم يجبها أحد..

نعم، أجابها عمر بن سعد، فصاح بالناس: إنزلوا إليه فأريحوه..

فنـزل إليـه الشمـر، وجلـس علـى صـدره، وقبض علـى شيبته المقدّسة، فرمقه الحسين عليه السلام بطرفه، وقال: أتقتلني؟ أولا تعلم من أنا؟ فقال الشمر: أعرفـك حقّ المعرفة: أمّك فاطمة الزهراء، وأبوك عليّ المرتضى، وجدك محمّد المصطفى، وأقتلك ولا أبالي..

فضربه بالسيف اثنتي عشرة ضربة.. واحتزّ رأسه الشريف..

وا حسينـاه، وا إماماه، وا مذبوحـاه، وا غريباه، وا عطشاناه، وا شهيداه..

فَلَوَ أَنَّ أَحْمَدَ قَدْ رَأَكَ عَلَىْ الثَّرَىْ لَفَرَشْنَ مِنْهُ لِجِسْمِكَ الْأَحْشَاءُ
أَوْبِالطُّفُوْفِ رَأَتْ ظَمَاكَ سَقَتْكَ مِنْ مَـاءِ الْـمَـدَامِـعِ أُمُّـكَ الـزَّهْـرَاءُ
يَا لَيْتَ لَا عَذُبَ الْفُرَاتُ لِوَارِدٍ وَقُـلُـوْبُ أَبْـنَـاءِ الـنَّـبِـيِّ ظِـمَـاءُ

* * *

مجلس شهادة

الإمام السجّاد عليه السلام

قَرِحَتْ جُفُونُكَ مِنْ قَذًى وَسُهَادِ ... إِنْ لَمْ تَفِضْ لِمُصِيْبَةِ السَّجَّادِ

فَأَسِلْ فُؤَادَكَ مِنْ جُفُوْنِكَ أَدْمُعاً ... وَاقْدَحْ حَشَاكَ مِنَ الْأَسَى بِزِنَادِ

وَانْدُبْ إِمَاماً طَاهِراً هُوَ سَيِّدٌ ... لِلسَّاجِدِيْنَ وَزِيْنَةُ الْعُبَّادِ

مَا أَبْقَتِ الْبَلْوَىْ ضَنىً مِنْ جِسْمِهِ ... وَهُوَ الْعَلِيْلُ سِوَىْ خَيَالٍ بَادِي

لَهْفِيْ عَلَيْهِ يَئِنُّ فِيْ أَغْلَالِهِ ... بَيْنَ الْعِدَىْ وَيُقَادُ بِالْأَصْفَادِ

مُضْنىً وَجَامِعَةُ الْحَدِيْدِ بِنَحْرِهِ ... غُلٌّ يُعَانِيْ مِنْهُ شَرَّ قِيَادِ

تَحْدُو بِهِ الْأَضْغَانُ مِنْ بَلَدٍ إِلى ... بَلَدٍ وَتُسْلِمُهُ إِلَى الْأَحْقَادِ

وَالشَّامُ إِنَّ الشَّامَ أَفْنَىْ قَلْبَهُ ... أَلَماً وَآلَ بِصَبْرِهِ لِنَفَادِ

لَمْ يَلْقَ فِيْهِ سِوَىْ الْقَطِيْعَةِ وَالْعِدَى ... وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ وَالْحُسَّادِ

سَلْ عَنْهُ طِيْبَةَ هَلْ بِهَا طَابَتْ لَهُ ... بَعْدَ الْحُسَيْنِ نَوَاظِرٌ بِرُقَادِ؟

هَلْ ذَاقَ طَعْمَ الزَّادِ طُوْلَ حَيَاتِهِ ... إِلَّا وَيَمْزُجُ دَمْعَهُ بِالزَّادِ

حَتَّى قَضَى سَمًّا وَمِلءُ فُؤَادِهِ ... أَلَمٌ تَحُزُّ مُدَاهُ كُلَّ فُؤَادِ[1]

(١) القصيدة للشيخ عبد المنعم الفرطوسيّ رحمه الله.

شعبي:

هم مصايب كربلا او هم علّته

وفقد إخوته او ذبح أبوه او غربته

وگطعوا بالسم يويلي كبدته

ليش ابن حامي الحمى يسمونه

اويلي على ابو الباقر كنز العلوم

عقب قيده وحديده وذيك الهموم

قضى نحبه وسافه عليه مسموم

مثل جده علّي صابر ومظلوم

عليه صاحت الوادم فرد صيحه

وگام وغسله و حطه بضريحه

بس جثة السبط ظلت طريحه

وبالخيل الصدر منه تهشم

أبوذيّة:

المصايب بس على السجاد تنصاب

ابيوم الشدايد بالمرض تنصاب

المآتم إلك يا مولاي تنصاب

اشكم شدّه شفت واشكم رزيّه

لقد ابتلي هذا الإمام العظيم بابتلاءات كثيرة وامتحانات عظيمة، وشاهد بأمِّ عينه تلك المجزرة الرهيبة التي حلّت بإخوته وعمومته وأهل بيته في كربلاء، وشاءت الحكمة الإلهيّة أن يكون هذا الإمام مريضاً عليلاً في كربلاء ممّا منعه عن القتال، وأشرف بسببه على الموت لولا مشيئة الله أن يبقى هذا الإمام حيّاً حفظاً لتلك السلسلة الطيّبة من آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وفضلاً عن ألم المرض وأوجاعه ومعاناته، فقد كانت محنة الإمام عظيمة وهو يسمع نداء أبيه الحسين عليه السلام، واستغاثته وهو لا يقدر على تلبية هذا النداء، حتّى إنَّهم ذكروا أنّه عليه السلام، كان يبكي في بعض الأحيان لذلك، أو يقوم لينصر أباه ولا يقدر!

فعن الإمام زين العابدين عليه السلام أنّه قال: سمعت أبي، في الليلة التي قتل في صبيحتها، يقول وهو يصلح سيفه:

يَا دَهْرُ أُفٍّ لَكَ مِنْ خَلِيْلِ كَمْ لَكَ بِالْإِشْرَاقِ وَالْأَصِيْلِ
مِنْ صَاحِبٍ وَطَالِبٍ قَتِيْلِ وَالدَّهْرُ لَا يَقْنَعُ بِالْبَدِيْلِ
وَإِنَّمَا الْأَمْرُ إِلَى الْجَلِيْلِ وَكُلُّ حَيٍّ سَالِكٌ سَبِيْلِي

فأعادها مرّتين أو ثلاثاً ففهمتها، وعرفت ما أراد، وخنقتني العبرة ولزمت السكوت وعلمت أنّ البلاء قد نزل.

ولمّا قتل العبّاس التفت الحسين، عليه السلام، فلم ير أحداً ينصره، ونظر إلى أهله وصحبه مجزّرين كالأضاحي، وهو إذ ذاك يسمع عويل الأيامى وصراخ الأطفال، صاح بأعلى صوته: هل من ذابٍّ

عـن حرم رسول الله؟ هل من موحّدٍ يخاف الله فينا؟ هل من مغيثٍ يرجو الله في إغاثتنا؟ فارتفعت أصوات النساء بالبكاء..

ونهض السجّـاد عليه السلام يتوكّأ على عصاً ويجـرّ سيفه، لأنّه كان مريضاً لا يستطيع الحركة، فصاح الحسين بأخته أمّ كلثوم: إحبسيه لئلّا تخلو الأرض من نسل آل محمّد. فأرجعته إلى فراشه.

وكانـت أعظم هذه المحن على قلبه حينما نظـر إلى جسد أبيه الحسيـن عليه السلام وأهـل بيته وأصحابـه وهم مضرّجـون بالدماء.. فصار الإمام يجود بنفسه..

يُروى عنه عليه السلام، أنّه قال وهو يحدّث عن هذا الأمر:

لَمّا أصابنا بالطفّ ما أصابنا وقُتل أبي عليه السلام، وقُتل من كان معه مـن وُلده وإخوتـه وسائر أهله، وحُملت حرمه ونسـاؤه على الأقتاب يراد بنا الكوفة، فجعلت أنظر إليهم صرعى ولم يوارَوْا، فعظم ذلك في صدري، واشتدّ لما أرى منهم قلقي، فكادت نفسي تخرج، وتبيَّنت ذلك منّي عمّتي زينب الكبرى بنت عليّ عليه السلام، فقالت: ما لي أراك تجـود بنفسـك يا بقيّة جـدّي وأبي وأخوتي؟ فقلـت: وكيف لا أجزع وأهلع وقد أرى سيّدي وأخوتي وعمومتي ووُلد عمّي وأهلي مضرّجين بدمائهم، مرمّلين بالعرى، مسلّبين، لا يُكفّنون ولا يُوارَوْن، ولا يُعرِّج عليهـم أحد، ولا يقربهم بشر، كأنّهم أهل بيت من الديلم والخزر.. ثمّ أخذت عمّته زينب، عليها السلام، تسكّنه..

ومـن محنـه عليه السلام أيضاً، أنّـه لمّا أدخل الكوفـة كان على بعيرٍ

بغيـر وطاء، وقد وضعت جامعة من حديد في عنقه، ويداه مغلولتان إليها، وأوداجه تشخب دماً، وهو مع ذلك يبكي ويقول:

يَا أُمَّةَ السُّوْءِ لَا سَقْياً لِرَبْعِكُمُ يَـا أُمَّـةً لَـمْ تُـرَاعِ جَـدَّنا فِيْنَا
لَـوْ أَنَّنَا وَرَسُـوْلُ اللهِ يَجْمَعُنَا يَـوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ تَقُوْلُوْنَا؟
تُسَيِّرُوْنَا عَلَى الْأَقْتَـابَ عَارِيَةً كَـأَنَّنَـا لَـمْ نُشَيِّدْ فِيْكُمُ دِيْنَا

وكان يسمـع الشتم والسـبّ بأذنه ويصبر، وأحيانـاً يكلّم بعض مـن يسمعه يدعـو عليهم فيؤثّر فيهم تأثيراً عجيبـاً، فقد رُوي أنّهم لمّـا وصلـوا إلى الشام، وجاء شيخ ودنا مـن نساء الحسين عليه السلام، وعيالـه، وهـم في ذلـك الموضـع، فقـال: الحمد لله الـذي قتلكم وأهلككـم وأراح البلاد من رجالكم، وأمكن أميـر المؤمنين منكم. فقـال له عليّ بن الحسيـن عليه السلام: يا شيخ، هل قرأت القرآن؟ قال: نعـم، قال: فهل عرفت هذه الآيـة: ﴿لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾؟ قـال الشيـخ: نعم، قد قرأت ذلك. فقـال عليّ عليه السلام له: فنحن القربى يا شيخ. فهل قرأت في بني إسرائيل (وآت ذا القربى حقّـه)؟ فقـال الشيـخ: قد قرأت، فقـال عليّ بـن الحسين عليه السلام: فنحن القربى يا شيخ. فهـل قرأت هذه الآية: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾؟ قال: نعم، فقال له علـيّ عليه السلام: فنحن القربى يا شيخ. فهل قـرأت هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾؟ قـال الشيخ: قد قرأت ذلـك، فقال عليّ عليه السلام: فنحـن أهل البيت

الذيـن خصّنا الله بآية الطهارة، يا شيخ. قال الراوي: فبقي الشيخ ساكتـاً نادماً على مـا تكلّم به وقال: بالله إنّكم هـم؟ فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: تالله إنّا لنحن هم من غير شكٍّ، وحقّ جدّنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فبكى الشيخ ورمى عِمامته ثمّ رفع رأسه إلى السماء وقال: أللهمّ إنّا نبرأ إليك من عدوّ آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، من جنٍّ وإنس، ثمّ قال: هل لي توبة؟ فقال له: نعم، إن تبت تاب الله عليك وأنت معنا، فقال: أنا تائب، فبلغ يزيد بن معاوية حديث الشيخ، فأمر به فقُتل.

إلـى أن عاد الإمـام عليه السلام إلـى المدينة والأحزان تمـلأ قلبه، ومشهد كربلاء لا يفارقه، ومصائبها ماثلة أمام ناظريه:

كَـأَنَّ كُلَّ مَكَانٍ كَرْبَلَاءُ لَدَىْ عَيْنِيْ وَكُـلَّ زَمَـانٍ يَـوْمُ عَاشُوْرَا

ولم يزل الإمام حزيناً باكياً، حتّى عُرِف بالبكّاء وعُدَّ أحد بكّائي التاريـخ، فكـم بكـى هذا الإمـام؟ وكم بكـى؟ وكيف كانـت أحواله وحالاته حتّى عرفه الناس بذلك، فقد قيل: إنّه بكى حتّى خِيف على عينيه، وكان إذا أخذ إناءً يشرب ماءً بكى حتّى يملأَه دمعاً[1]، فقيل لـه في ذلك فقـال: وكيف لا أبكي وقد مُنع أبـي من الماء الذي كان مطلقاً للسباع والوحوش؟!

وقيل له: إنّـك لتبكي دهرك فلو قتلت نفسك لما زدت على هذا، فقال عليه السلام: نفسي قتلتها وعليها أبكي.

وعـن أبي عبـد الله عليه السلام أنّه قال: بكى عليّ بـن الحسين على

(١) كناية عن غزارة الدمع وكثرة ما يتساقط منه في الإناء.

أبيه حسين بن عليّ عليه السلام عشرين سنة- أو أربعين سنة- وما وضع بيـن يديه طعاماً إلّا بكى على الحسين، حتّى قال له مولى له: جُعلت فـداك يا بن رسـول الله، إنّي أخاف عليك أن تكـون من الهالكين، قال: إنّما أشكو بثّي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون، إنّي لم أذكر مصرع بني فاطمة إلّا خنقتني العبرة لذلك.

وأشـرف مولى له عليه السلام، وهو في سقيفة لـه ساجد يبكي، فقال له: يا مـولاي يا عليّ بن الحسين، أما آن لحزنك أن ينقضي؟ فرفع رأسـه إليه وقال: ويلك- أو ثكلتك أمّك- والله شكى يعقوب إلى ربّه فـي أقلّ ممّا رأيت حتّى قال: (يا أسفي علـى يوسف)، إنّه فقد ابناً واحداً، وأنا رأيت أبي وجماعة أهل بيتي يُذبحون حولي.

بعيني رأيت حسين بيده الطفل منحور

وأمـه الربـاب تعاينـه ودموعها تفور

فـت ابونينـه قلوبنـا وعيونـه اتدور

مـا خلت لنا كربلا شـيخ ولا شـاب

واعظـم مصيبـة زيّدت حزنـي علّيه

داسـت على جسم العزيز خيول أمّيه

سـلبوا عزنـا وسـّيروا زينـب سـبّيه

حسرى ومن كثر المصايب راسها شاب

ولـم يغب ذلـك المشهد الفظيع عن ناظريـه، الذي أحرقت فيه خيـام بنات رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فيُقال إنّه كان يقـول: والله ما نظرت

إلى عمّاتي وأخواتي إلّا وخنقني العبرة، وتذكّرت فرارهنَّ من خيمة إلى خيمة، ومن خباء إلى خباء، ومنادي القوم ينادي: أحرقوا بيوت الظالمين.

وكان يذكّر الناس بمصيبة أبيه الإمام عليه السلام، يُقال: إنّه كان يخرج إلى السوق أحياناً فيرى جزّاراً يريد أن يذبح شاة فيدنو منه ويقول: هل سقيتها الماء؟ فيقول: نعم، يا بن رسول الله، إنّا لا نذبح حيواناً حتّى نسقيه ولو قليلاً من الماء، فيبكي عند ذلك ويقول: لقد ذبح أبو عبد الله عطشانَ.

وهكذا كانت حالة الإمام في الحزن والبكاء على أبيه إلى أن دسَّ إليه الوليد بن عبد الملك، السمّ في أشياء أعدّها له، ولمّا تناولها الإمام وسرى السمّ في بدنه وتيقّن حلول أجله، أخذ يوصي ولده الإمام الباقر عليه السلام:

يا بنيّ، إنّ الوقت الذي وُعدته قد قرب، فأوصيك يا بنيّ في نفسك خيراً، واصبر على الحقّ وإن كان مرّاً، فإنّه لتحدّثني نفسي بسرعة الموت لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[1].

يا بنيّ، إذا أنا متّ فغسّلني فإنّ الإمام لا يلي غسله إلّا إمام مثله..واعلم يا بنيّ، أنّي مفارقك عن قريب، فإنّ الموت قد قرب، وقد بلغ الوليد منّي مراده..

(١) سورة الرعد الآية ٤١.

وضمّــه إلى صدره، ثمّ قال: يا بنــيّ، أوصيك بما أوصاني به أبي حيــن حضرته الوفاة...يا بنيّ، إيّاك وظلمَ من لا يجد عليك ناصراً إلّا الله..

ثــمّ غشــي عليه وأفاق ثلاث مــرّات، ثمّ فتح عينيــه، وقرأ: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾، و ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ وقــال: الحمــد لله الــذي صدقنا وعده، وأورثنا الأرض نتبوّأ من الجنّة حيث نشاء، فنعم أجر العاملين!

ثــمّ أشرق وجهه نوراً ونادى: يا أبــا جعفر، عجّل، وفاضت نفسه الشريفة..رحم الله من نادى: وا إماماه.. وا سيّداه.. وا مظلوماه..

وضــجّ الناس في المدينة ضجّة واحدة..وعلا الصراخ والنحيب لفقد الإمام عليه السلام من كلّ ناحية..

وقام الإمام الباقر عليه السلام بتجهيز أبيه عليه السلام...

ينقــل السيّــد الأمين، رحمــه الله، عن جابر الجعفــيّ، قال: لمّا جــرَّدَ مــولاي محمّد الباقر، مــولاي عليّ بن الحسيــن ثيابَه ووضعه علــى المغتســل وكان قد ضرب دونــه حجاباً، سمعتــه ينشج ويبكي حتّى أطال ذلك، فأمهلته عن السؤال حتّى إذا فرغ من غسله ودفنه، فأتيــت إليــه وسلّمت عليه وقلت لــه: جُعلت فداك، مــمّ كان بكاؤك وأنت تغسّل أباك؟ ذلك حزناً عليه؟ قال: لا يا جابر، لكن لمّا جردت أبي ثيابه ووضعته على المغتسل رأيت آثار الجامعة في عنقه، وآثار جرح القيد في ساقيه وفخذيه فأخذتني الرقّة لذلك وبكيت.

قـام الباقـر وغسـله بيـده

وشـاف الجامعـه مأثـرة بجيـده

وشـاف السـاق بيـه اشـعمل قيـده

گعـد يبكـي وعلـى حالـه تحسـر

مَا لِي أَرَاكَ وَدَمْعُ عَيْنِكَ جَامِدٌ أَوَ مَا سَمِعْتَ بِمِحْنَةِ السَّجَّادِ

* * *

مجلس شهادة

الإمام الباقر عليه السلام

مِمَّ الْعَوَالِم نُكِّسَتْ أَعْلَامُهَا وَاسْوَدَّ مِنْ صِبْغِ الْأَسَىٰ أَيَّامُهَا

أَلْـيَـوْمَ بَـاقِـرُ عِلْمِ آلِ مُحَمَّدٍ مِنْهُ شَفَتْ غِلَّ الْقُلُوْبِ طَغَامُهَا

وَلَطَالَمَا قَاسَىٰ الْأَذَىٰ بِحَيَاتِهِ لَمَّا تَحَكَّمَ فِـيْ الْـكِـرَامِ لِئَامُهَا

كَادُوْهُ مِنْ حَسَدٍ لِطَمْسِ ضِيَائِهِ وَعَـنْ الْمَدِيْنَةِ أَزْعَجَتْهُ سَوَامُهَا

أَللهُ أَكْـبَـرُ كَـمْ لَـهُ مِـنْ حُرْمَةٍ فِيْ الشَّامِ قَدْ هَتَكَ النَّبِيَّ هِشَامُهَا

أَمْسَىٰ بِهَا فِيْ السِّجْنِ طَوْراً لَيْتَهَا سَاخَتْ وَعُوْجِلَ بِالْبَلَا أَقْوَامُهَا

وَأُقِيْمَ طَـوْراً فِيْ مَقَامِ الذُّلِّ مَا بَيْنَ الْجُفَاةِ وَقَـدْ تَـرَفَّـعَ هَامُهَا

أَهْدَتْ لَهُ فِيْ السَّرْجِ سَمّاً قَاتِلاً غَدْراً وَهَلْ يَخْفَى عَلَيْهِ مَرَامُهَا؟

بِأَبِيْ وَبِيْ أَفْدِيْهِ إِذْ بَلَغَ الْعِدَى فِيْهِ الْمُنَى وَبِـهِ أَضَرَّ سِمَامُهَا

فَغَدَا عَلَىٰ فُرُشِ السَّقَامِ يُجَاذِبُ الْأَنْفَاسَ إِذْ أَوْهَـتْ قِوَاهُ سِقَامُهَا

وَلَقَدْ شَجَا مَنْ فِيْ الْعَوَالِمِ فَقْدُهُ وَمِنْ الشَّرِيْعَةِ نُكِّسَتْ أَعْلَامُهَا[1]

(١) القصيدة للشيخ عليّ الجشي.

شعبي:

بطّل ونينه وغمض الباقر العينين

وضجّت عليه أهل المدينة وزاد الحنين

شالوه القبره وگامت اتنوح النوايح

وكل البلاد ارتجّت بكثر الصوايح

وسّده الصادق ما بقى على الترب طايح

مثل السبط جده وأهل بيته الميامين

وسّد الصادق والده الباقر ابلحده

ابيومه ونصب ماتم ابداره خلاف فقده

لكن انشدني عن أبو السجاد جدّه

يمته اندفن والماتم اعليه انّصَب وين

أبوذيّة:

على الباقر لقيم النوح ولون

انسم او صار مثل النيل ولون

يا شيال نعشه تريد ولون

ابعزه انشيله او لطم لابن الزكيّة

كان الإمـام الباقر عليه السلام يعلم بدنوّ أجلـه، فقد رُوي عنه قوله: «**قُتـل علـيّ عليه السلام وهو ابن ثمـان وخمسين سنة، وقتـل الحسين وهـو ابـن ثمـان وخمسين سنة، ومـات عليّ بن الحسيـن وهو ابن ثمان وخمسين سنة، وأنا اليوم ابن ثمانٍ وخمسين سنة**».

ويُروى عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: إنّ أبي مرض مرضاً شديداً حتّى خفنا عليه، فبكى بعض أهله فنظر إليه وقال: إنّي لست بميّـت فـي وجهي هذا، قـال عليه السلام: فبرىء ومكث مـا شاء الله أن يمكث فينا وهو صحيح ليس به بأس، قال: يا بنيّ، إنّ اللذين أتياني في وجهي ذاك وأخبراني بأنّي لست بميّت، فأتياني اليوم وأخبراني أنّي ميّت يوم كذا وكذا..

مـرّ على الإمام الباقر عليه السلام الكثير من الأحداث المؤلمة، ومن أعظمها فجيعـة ما شاهده بأمّ عينيه من أحداث كربلاء، فقد رُوي عنه قوله: «**قُتل جدّي الحسين عليه السلام ولي أربع سنين، وإنّي لأذكر مقتله وما نالنا في ذلك الوقت**».

بعيني نظرت احسين جدي برض الطفوف

جثـة بليـا راس ومبضّـع بالسـيوف

مذبوح جدي بالعطش وعيوني اتشوف

وعاينـت راسـه اقبال عينـي رافعينه

وكان مـع ركب السبايا وأوقفهم يزيد ثلاثة أيّام على باب الشام حتّى أدخلوا عليه. يُروى عنه عليه السلام أنّه قال: دخلنا على يزيد ونحن

اثنا عشر غلاماً مغلّلين بالحديد..

ولم تمض الأيّام حتّى شاءت الأقدار أن يعود الإمام الباقر، عليه السلام، إلى الشام، وذلك حينما استدعاه هشام بن عبد الملك، ومرّة أخرى أُوقف ثلاثة أيّام قبل أن يدخله عليه، وبقي هناك أيّاماً ثمّ أرجعه إلى المدينة..

وعندما أراد هشام أن يتخلّص من الإمام كتب إلى عامله في المدينة أن يحتال في اغتيال الإمام بأن يدسّ له سمّاً في طعام أو شراب، وبالفعل فقد قام ذلك اللعين بهذا الأمر، ودسّ للإمام سمّاً في طعامه أو في شرابه، وتناوله الإمام وسرى في بدنه الشريف..

وفي رواية أنّه دُسّ إليه السمّ في سرج فرس، فركبه الإمام ونزل عنه متورّماً..ولم يعش بعدها الإمام أكثر من ثلاثة أيّام..

وبقي الإمام طريح الفراش إلى أن دنت وفاته. عن إمامنا الصادق عليه السلام، أنّه أتى أبا جعفر عليه السلام، ليلة قُبض وهو يناجي، فأومأ بيده أن تأخّر، فتأخّر حتّى فرغ من مناجاته، ثمّ أتاه فقال: يا بنيّ، إنّ هذه الليلة التي أُقبض فيها، وهي الليلة التي قُبض فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم..

واستودع ولده الصادق عليه السلام مواريث الإمامة والسلاح، وأوصاه بوصاياه:

منها: تغسيله، وتكفينه بثلاثة أثواب، منها برده الذي كان يصلّي فيه الجمعة، وأشياء في دفنه، وأمره أن يرشّ قبره بالماء..

ومنهـا: أنّه قـال لولده: يـا أبا عبـد الله، الله الله فـي الشيعة، أوصيك بأصحابي خيراً، فقال أبو عبد الله عليه السلام: والله لا تركتهم يحتاجون إلى أحد..

ومنهـا: أنّـه قال لولـده: يا جعفـر أوقف لي من مالـي كذا وكذا لنوادب تندبني عشر سنين بمنى أيّام منى..

ونظـر إليه الصادق عليه السلام، فقـال: يا أبتاه والله مـا رأيت منذ اشتكيت أحسن هيئة منك اليوم، وما رأيت عليك أثر الموت، قال: يا بنيّ، أَمَا سمعت عليّ بن الحسين عليه السلام، ناداني من وراء الجدران: يا محمّد، تعال عجِّل..

ولمّـا دنا أجـل الإمام الباقر، عليه السلام، أدار وجهـه في أهل بيته، وقال: حفظكم الله، سدّدكم الله، الله خليفتي عليكم وكفى به خليفة، أشهـد أن لا إلـه إلّا الله، وأشهـد أنّ محمّداً رسـول الله، ثمّ غمَّض عينيه، وقضى نحبه مسموماً شهيداً مظلوماً صابراً محتسباً..

وا إماماه.. وا سيّداه.. وا باقراه..

ثمّ قـام الإمام الصـادق عليه السلام بتجهيزه وتكفينـه، ودفنه عند والده الإمام زين العابدين في البقيع..

عليـه صاحـت الـوادم فـرد صيحـة

الصـادق غسـله وحطـه بضريحـه

بـس جثـة السـبط ظلـت طريحـة

وبالخيـل الصـدر منـه تهشـم

ولمّا قبض أبو جعفر عليه السلام أمر أبو عبد الله عليه السلام بالسراج في البيت الذي كان يسكنه..

أيّها الموالي: لقد كان وجه الباقر يتلألأ نوراً وبهاءً ليلة وفاته، وهكذا كان حال الحسين عليه السلام، ولكن كان مع ذلك مضمّخاً بدمائه. قال هلال بن نافع: وقفت على الحسين عليه السلام وإنّه ليجود بنفسه، فوالله ما رأيت قتيلاً مضمّخاً بدمائه أحسن منه وجهاً، ولا أنور منه، ولقد شغلني نور وجهه، وجمال هيئته عن الفكرة في قتله.

وَمُجَرَّحٍ مَا غَيَّرَتْ مِنْهُ الْقَنَا حُسْناً وَلَا غَيَّرْنَ مِنْهُ جَدِيْدَا
قَدْ كَانَ بَدْراً فَاغْتَدَى شَمْسَ الضُّحَى مُذْ أَلْبَسَتْهُ يَدُ الدِّمَاءِ لُبُوْدَا

أيّها الموالي: لقد قام الصادق عليه السلام، بتغسيل أبيه وتكفينه ودفنه، ورشَّ على قبره الماء، كما أوصاه بذلك، لكن جدّه الحسين عليه السلام بقي بلا غسل ولاكفن، ولا ندري هل رشّ الإمام زين العابدين على قبره الماء، أو لا؟

بالله ارد انشدك ماي شربته يدفان

بخيت قلبه لو دفنت احسين عطشان

بالله يدفان ارد انشدك رد عليّه

عطشان اخوي لو شرب قطرة امّيه

وحين الدفنته ريت بخيت المنيّه

خاطر ترد روحه تراه مات عطشان

أيّها الموالي: لقد أوصى الباقر ولده الصادق عليه السلام، بشيعته وأصحابه، وكذلك سمعت سكينة صوتاً من أبيها الحسين عليه السلام يحمل رسالة إلى شيعته. يقول الشيخ الكفعميّ إنّ سكينة، لمّا قُتل الحسين عليه السلام، اعتنقته فأُغمي عليها فسمعته يقول:

شِيْعَتِيْ، مَا إِنْ شَرِبْتُمْ رَيَّ عَذْبٍ فَاذْكُرُوْنِيْ
أَوْ سَمِعْتُمْ بِغَرِيْبٍ أَوْ شَهِيْدٍ فَانْدُبُوْنِيْ

فقامت مرعوبة قد قرِحت مآقيها وهي تلطم على خدّيها..

يبويه من قطع راسك
ويا هو السلّب اثيابك

يبويه غطّى كل امصاب
امصاب الما جرى امصابك

قبل ما شوفك ابالحال
يريت انعمت عيناي

انعمت عيناي ولا شوفك
ذبيح ويجري دم نحرك

واصحابك واهل بيتك
ضحايا مطّرحة بصفّك

عساها تعثرت عالخيل
ولا داست على صدرك

أيّهـا الموالي: لقد بقي الباقر عليه السلام، مريضـاً في فراشه ثلاثة أيّام، لكن لم يبق كجدِّه الحسين عليه السلام.. محزوز الراس من القفا، ملقىً فـي الثرى، ثلاثة أيّـام بالعراء، تسفي عليـه الرياح، وتغسله الجراح..

لَـمْ يَبْقَ ثَـاوٍ بِـالْـعَـرَاءِ كَجَدِّهِ دَامٍ تُـغْـسِّـلُـهُ دِمَـــاءُ وَرِيْـــدِ
قَدْ بُـدِّدَتْ أَوْصَالُهُ يَا لَلْهُدَى بِشَبَا الصِّفَاحِ أَيَّـمَـا تَبْدِيْدِ

وأخيـراً أيّهـا الموالـي: لقد أسـرج الصـادق عليه السلام، لأبيه بعد وفاتـه، لكـن الحسين عليه السلام لم يُشعـل له تلك الليلة سـراج، وإنّما أضرموا النّار في خيام نسائه وعياله وأطفاله..

أَللهُ أَيُّ مُصِيْبَةٍ جَـلَّـتْ فَلا يُلْقَىْ لَهَا فِيْ الْكَوْنِ بَعْضُ نَظَائِرِ
ذَهَبَتْ بِرُكْنِ الدِّيْنِ مِصْبَاحِ الْهُدَىْ غَـوْثِ الْمُؤَمَّلِ وَالْإِمَـامِ الْبَاقِرِ

* * *

مجلس شهادة

الإمام الصادق عليه السلام

يَاقَلْبُ، ذُبْ كَمَداً وَيَاعَيْنُ اسْكُبِي دَمْعاً لِـرُزْءِ بْنِ الرَّسُوْلِ الصَّادِقِ

ذَاكَ الَّـذِيْ نَشَرَ الْعُلُوْمَ وَأَيَّـدَ الدِّيْنَ الْحَنِيْفَ وَبَـزَّ كُلَّ مُنَافِقِ

لَكِنَّهُ لَـمْ يَـلْـقَ فِيْمَا عَاشَهُ مِنْ عُمْرِهِ مِنْ صَاحِبٍ وَمُرَافِقِ

إِلَّا الْقَلِيْلَ وَفِي الْقَلِيْلِ كِفَايَةٌ عَمَّا سِوَاهُ مِـنَ الْكَثِيْرِ الْمَائِقِ

أَدَّى رِسَالَتَهُ بِأَكْمَلِ صُوْرَةٍ وَلَـوَى أَكُـفَّ مُنَاظِرِيْنَ زَنَـادِقِ

أَدَّى بِنَفْسِيْ مَا عَلَيْهِ وَزُمْـرَةُ الْإِلْـحَـادِ بَيْنَ مُتَابِعٍ وَمُـلَاحِـقِ

حَتَّىْ بِسُمِّهِمِ الزُّعَافِ قَضَىْ وَقَدْ هُـدَّتْ بِـهِ أَرْكَـانُ مَجْدٍ شَاهِقِ

مَاذَا رَأَىْ الْمَنْصُوْرُ مِنْهُ فَسَمَّهُ ظُلْماً وَلَـمْ يَعْبَأْ بِسُخْطِ الْخَالِقِ

أَبْكَىْ النَّبِيَّ الْمُصْطَفَىْ وَوَصِيَّهُ وَالطُّهْرَ فَاطِمَ لِلسَّلِيْلِ السَّابِقِ

فِيْ فَضْلِهِ، فِيْ عِلْمِهِ، فِيْ حِلْمِهِ فِيْ صَبْرِهِ طَلَباً لِنَيْلِ حَقَائِقِ[1]

(١) القصيدة للشيخ محمّد سعيد المنصوريّ.

شعبي:

يجفن العين هل ادموعك ابدم
على الصادق المات اليوم بالسم

ما أدري الرجس كان اشيطلبه
ابسمّه آمر اولا خاف ربه

أويلي وانمرد كبده وقلبه
انفطر لمّن گرّب ليه المحتم

ارتجت بالبكا لجله المدينة
ولا ظل واحد الما بكت عينه

وابنه الكاظم اينادي ابونينه
الجرح فرگاك أبد ما يصح بلسم

أبوذيّة:

الما يعترف بسم الله وسمه
ابسقرطاح السعى ابقتله وسمه

اشلون اتجرّع الصادق وسمّه
او عليه تنعى اوتونّ الجعفريّه

«أللهمّ صلِّ على جعفر بن محمّد إمام المسلمين، ووال من والاه، وعاد من عاداه، وضاعف العذاب على من ظلمه».

بعد أن حاول المنصور قتل الإمام الصادق عليه السلام سبع مرّات كما يذكر بعضهم، فتارة يأمر رزام بن مسلم مولى أبي خالد أن يقتل الإمام وهو «**سلام الله عليه**» في الحِيرة. وأخرى يأمر باغتياله مع ابنه موسى بن جعفر. قال قيس بن الربيع: حدّثني أبي الربيع، قال: دعاني المنصور يوماً قال: أما ترى الذي يبلغني عن هذا الحسينيّ؟ قلت: ومن هو يا سيّدي؟! قال: جعفر بن محمّد، والله لأستأصلنّ شأفته. ثمّ دعا بقائد من قوّاده فقال: انطلق إلى المدينة في ألف رجل، فاهجم على جعفر بن محمّد وخذ رأسه ورأس ابنه موسى بن جعفر في مسيرك..إلى غير ذلك من موارد.

وكان الإمام يدعو بدعاء جدّه الحسين عليه السلام فينجيه الله تعالى، كما أجاب حينما سئل عن سبب نجاته في إحدى المرّات، وهو هذا الدعاء: «**أللهمّ يا عدّتي عند شدّتي، يا غوثي عند كربتي، احرسني بعينك التي لا تنام، واكنفني بركنك الذي لا يرام، وارحمني بقدرتك عليّ، فلا أهلك وأنت رجائي، أللهمّ إنّك أكبر وأجلّ وأقدر ممّا أخاف وأحذر، أللهمّ بك أدرأ في نحره، وأستعيذ بك من شرّه إنّك على كلّ شيء قدير**».

ولمّا نزل أبو جعفر الدوانيقيّ في «**الربذة**» وكان الإمام الصادق عليه السلام بها، قال: من يعذرني من جعفر؟ والله لأقتلنّه!

وهكـذا، كان دأبه إلى أن مضى الإمام الصادق عليه السلام مسموماً بسـمّ دسّه إليه المنصـور الدوانيقيّ على يد عاملـه على المدينة، وكان قـد وضعه له في العنب، فتناوله الإمام عليه السلام ..وأثّر فيه حتّى صار طريح الفراش، فأخذ يوصي بوصاياه:

عن أبي بصير قال: دخلت على أمّ حميدة أعزّيها بأبي عبد الله الصـادق عليه السلام ، فبكت وبكيت لبكائها، ثـمّ قالت: يا أبا محمّد، لو رأيـت أبـا عبد الله عليه السلام عند الموت لرأيت عجبـاً، فتح عينيه ثمّ قال: اجمعوا لي كلّ من بيني وبينه قرابة. قالت: فلم نترك أحداً إلّا جمعنـاه. قالـت: فنظر إليهم ثمّ قال: إنّ شفاعتنـا لا تنال مستخفّاً بالصلاة..

وأوصى أن يُناح عليه سبعة مواسم، فأوقف لكلّ موسم مالاً يُنفق.

وأوصى ولده الإمام الكاظم عليه السلام فقال: يا بنيّ، إذا أنا متّ فلا يغسّلني غيرك، فإنّ الإمام لا يغسّله إلّا إمام..

وفي روايـة أنّه دخل عليه بعض أصحابه فـي مرضه الذي توفّي فيـه، وقد ذبـل، فلم يبق إلّا رأسـه، فبكى، فقـال: لأيّ شيء تبكي؟ فقـال: كيف لا أبكي وأنـا أراك على هذه الحال؟! قال: لا تفعل، فإنّ المؤمـن تعرض (عليـه) كل خير، إن تُقَطَّعَ أعضـاؤه كان خيراً له، وإن ملك ما بين المشرق والمغرب كان خيراً له.

ثمّ عرق جبينه، وسكن أنينه، وقضى نحبه، مسموماً شهيداً..

وا إماماه..وا سيّداه..وا جعفراه..

علـى المسـموم يـا قلبـي تفطـر

او ذوب امـن الهظم لاجله او تحسّـر

تفطـر يـا قلـب لمصـاب جعفـر

وانتـه يـا جفـن هـل دمعتـك دم

وقام الإمام الكاظم عليه السلام بتغسيلـه وتحنيطه وتكفينه، وعيناه تهمـلان بالدمـوع حزناً علـى فـراق أبيه، ثـمّ صلّى عليـه، وشيّعه المسلمـون تشييعـاً مهيبـاً، وكان يوماً عظيماً علـى المسلمين.. ثمّ دفنه عند والده الإمام الباقر عليه السلام في البقيع..

ونظـر إليه بعض أصحابه وقد حملـوه على سريـره إلى البقيع ليدفن هناك، فقال:

أَقُـوْلُ وَقَـدْ رَاحُـوْا بِهِ يَحْمِلُوْنَهُ عَلَى كَاهِلٍ مِنْ حَامِلِيْهِ وَعَاتِقِ

أَتَدْرُوْنَ مَاذَا تَحْمِلُوْنَ عَلَى الثَّرَى ثَبِيْراً ثَوَى مِنْ رَأْسِ عَلْيَاءَ شَاهِقِ

غَدَاةَ حَثَا الْحَاثُوْنَ فَوْقَ ضَرِيْحِهِ تُرَاباً وَأَوْلَـىْ كَانَ فَوْقَ الْمَفَارِقِ

وعـاد الإمام الكاظم عليه السلام، إلى بيت أبيه الإمام الصادق عليه السلام، الذي كان يسكنه، وقام بإشعال السراج هناك..

ابلحده وسّده والقلب مكسور

اونيـران الحـزن كانونهـا ايفـور

بـس احسـين جـدّه بيـوم عاشـور

بعـد القتـل عـاري على التـرب تم

سيّـدي يا جعفر بن محمّد..لقد تحمّلت من ظلم حكّام عصرك الكثير، فقد وجّه أبو جعفر المنصور إلى الحسن بن زيد- وهو واليه على الحرمين- أن أحرق على جعفر بن محمّد داره، فألقى النّار في دار أبـي عبد الله عليه السلام، فأخذت النّار في الباب والدهليز، فخرج أبو عبد الله عليه السلام يتخطّى النّار ويمشي فيها ويقول: أنا ابن أعراق الثرى، أنا ابن إبراهيم خليل الله عليه السلام..

سيّدي يا أبا عبد الله..لقد أرادوا إحراق دارك عليك، وأضرمت النيـران بباب دارك، ولكن لم يسلبوا لـك عيالك وبناتك كما فعلوا بعيال جدّك الحسين عليه السلام، فعندما أضرموا بخيامهنّ النّار فَرَّتْ بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، في البيداء بلا حامٍ ولا معين، وهنّ يصحن وا محمّداه، وا عليّاه..

يـفـتـرّن خـوات احـسـين

مـن خـيـمـة الـعـنـد خـيـمـه

يـنـادن ويـن راحـوا

ومـا ظـل بالعـرب شـيمه

كل خيمـة تشـب ابنـار

فـرّن ضـربـن الـهـيـمـه

والـسـجـاد اجـو سـحـبـوه

ودمـعـه عـلـى الـوجـن سالـه

سيّدي يا جعفر بن محمّد..لقد كنت تذكر جدّك الحسين عليه السلام في كلّ أحوالك وتحزن لمصابه، وتعلّم الناس كيف يبكون عليه. فما ذُكر الحسين عليه السلام ، عندك في يوم قطّ ورآك أحد من الناس في ذلك اليوم مبتسماً، وكنت تقول: «**الحسين عليه السلام عبرة كلّ مؤمن**».

كنت تطلب الماء لتشرب فتستعبر عند شربه، وتغرورق عيناك بالدموع وتقول: «..**لعن الله قاتل الحسين عليه السلام** ..»..

لقد كان يدخل عليك الشعراء فتأمرهم برثاء جدّك الحسين عليه السلام :

فلمّا استأذن عليه في إحدى المرّات السيّد الحميريّ رحمه الله ، أقعد الإمام عليه السلام ، حرمه خلف ستر، ودخل السيّد فسلّم وجلس فاستنشده، فأنشد قوله:

أُمْرُرْ عَلَى جَدَثِ الْحُسَيْنِ فَقُلْ لِأَعْظُمِهِ الزَّكِيَّهْ
يَا أَعْظُماً لَا زِلْتِ مِنْ وَطْفَاءَ سَاكِبَةٍ رَوِيَّهْ
فَإِذَا مَرَرْتَ بِقَبْرِهِ فَأَطِلْ بِهِ وَقْفَ الْمَطِيَّهْ
وَابْكِ الْمُطَهَّرَ لِلْمُطَـ ـهَّرِ وَالْمُطَهَّرَةِ النَّقِيَّهْ
كَبُكَاءِ مُعْوِلَةٍ أَتَتْ يَوْماً لِوَاحِدِهَا الْمَنِيَّهْ

قال الراوي: فرأيت دموع جعفر بن محمّد تتحدّر على خدّيه، وارتفع الصراخ والبكاء من داره، حتّى أمره بالإمساك فأمسك..

تَبْكِيْكَ عَيْنِيْ لَا لِأَجْلِ مَثُوْبَةٍ لَكِنَّمَا عَيْنِيْ لِأَجْلِكَ بَاكِيَهْ
تَبْتَلُّ مِنْكُمْ كَرْبَلا بِدَمٍ وَلا تَبْتَلُّ مِنِّيْ بِالدُّمُوْعِ الْجَارِيَهْ

* * *

مجلس شهادة

الإمام الكاظم عليه السلام

يَالَيْلَةَ الْخَمْسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ ... وَارَيْتِ خَيْرَ بُدُوْرِ التَّمِّ فِيْ الْحُجُبِ

قَدْ كَانَ نُوْراً تُجَلِّيْ الْكَرْبَ طَلْعَتُه ... حَتَّى إِذَا غَابَ غَصَّ الدَّهْرُ بِالْكُرَبِ

بَابُ الْحَوَائِجِ لَا تَهْفُوْ إِلَيْهِ يَدٌ ... إِلَّا وَعَـادَتْ بِهِ مَقْضِيَّةَ الْأَرَبِ

مُوْسَىْ بْنُ جَعْفَرَ بَابُ اللهِ قُبَّتُهُ ... فِيْهَا يُجَابُ دُعَا الدَّاعِيْنَ فِيْ الرَّغَبِ

يَا كَاظِمَ الْغَيْظِ غَيْظِيْ كَيْفَ أَكْتُمُهُ ... وَقَدْ قَضَيْتَ شَهِيْدَ السُّمِّ فِيْ الرُّطَبِ

تَبَّتْ يَدَا الرِّجْسِ هَارُوْنَ الرَّشِيْدِ كَمَا ... تَبَّتْ يَدَا الْمُشْرِكِ الْعَاتِيْ أَبِيْ لَهَبِ

إِغْتَالَهُ بِيَدِ السِّنْدِيِّ وَا أَسَفِيْ ... عَلَىْ الْإِمَامِ قَضَىْ بِالسِّجْنِ فِيْ رَجَبِ

أَمْثِلُ مُوْسَىْ وَلِـيِّ اللهِ مُرْتَهَنٌ ... فِيْ السِّجْنِ يَقْضِي بِذُلِّ الْقَيْدِ وَالْكَرَبِ

مَا شَيَّعُوْهُ وَمَا شِيْلَتْ جَنَازَتُهُ ... إِلَّا بِذُلِّ النَّدَا مِنْ سَيِّئِ الْحَسَبِ

يَا لَيْتَ عَيْنَ عَلِيِّ بْنَ الْحُسَيْنِ رَأَتْ ... أَصْفَادَ مُوْسَىْ وَمَا عَانَاهُ عَنْ كَثَبِ

إِذاً لَأَجْرَىْ دُمُوْعَ الْعَيْنِ مِنْ أَلَمٍ ... وَقَالَ: مَا أَشْبَهَ الْحَالَيْنِ فِيْ الْخُطُبِ

أَنَا إِلَىْ الشَّامِ قَادُوْنِيْ بِجَامِعَةٍ ... لُفَّتْ عَلَىْ عُنُقِيْ وَالْقَيْدُ فِيْ الرُّكَبِ

وَذَاكَ قُيِّدَ بِالْأَصْفَادِ مُضْطَهَداً ... حَتَّى تَوَارَىْ مَعَ الْأَصْفَادِ فِيْ الْحُجُبِ[1]

(١) من قصيدة للشيخ أحمد العسيليّ العامليّ.

شعبي:

يا عين سيلي الدمع غدران
او يا قلب ذوب ابنار الأحزان

الباب الحوايج سر الأكوان
وسافه اعلى موسى ما له اعوان

محبوس قضى العمر ما بان
من حبس ابن شاهك السجان

لمّن سمّه وكبده صار نيران
وخلّاه يلوج اوحيد نحلان

لمن قضى والكبد خلصان

أبوذيّة:

يسِمُّونك يبن جعفر علامه
القتل والسم صبح بيكم علامه

عليك ننشد عزا ونرفع علامه
ونشيّع اجنازتك يبن الزكيه

«أللهمّ صلّ على محمّد وأهل بيته، وصلّ على موسى بن جعفر، وصيّ الأبرار، وإمام الأخيار، وعيبة الأنوار، ووارث السكينة والوقار، والحكم والآثار، الذي كان يحيي الليل بالسهر إلى السحر، بمواصلة الاستغفار، حليف السجدة الطويلة، والدموع الغزيرة، والمناجاة الكثيرة، والضراعات المتّصلة الجميلة، ومقرّ النهى والعدل، والخير والفضل، والندى والبذل، ومألف البلوى والصبر، والمضطهد بالظلم، والمقبور بالجور، والمعذّب في قعر السجون وظلم المطامير، ذي الساق المرضوض بحلق القيود، والجنازة المنادى عليها بذلّ الاستخفاف، والوارد على جدّه المصطفى وأبيه المرتضى وأمّه سيّدة النساء، بإرثٍ مغصوب، وولاءٍ مسلوب، وأمرٍ مغلوب، ودمٍ مطلوب، وسمٍّ مشروب».

لقد كان هناك من بين الأنبياء والأئمّة عليهم السلام، من دخلوا السجن، فقد دخل نبيّ الله يوسف عليه السلام السجن، بعيداً عن أهله وأبيه وبلده، وقال: «**ربّ السجن أحبّ إليَّ ممّا يدعونني إليه**»[1]، ولكنّه لم يكن وحيداً فريداً بل كان معه آخرون، كما ينصّ القرآن الكريم على ذلك. وفي نهاية أمره خرج من السجن، وجمعه الله تعالى بأهله وأبيه وإخوته..

والإمام الكاظم عليه السلام دخل السجن، وبالرغم من أنّ بعض

(١) سورة يوسف الآية ٣٣.

الأئمّة عليهم السلام قد سُجن إلّا أنّ الإمام الكاظم عليه السلام كان أكثرهم مكوثاً فيه، في غربة، بعيداً عن أهله وعياله وأولاده، لم يدخل عليه أحد، لا زائر يزوره، ولا عائد يعوده، وكان في ظلام دامس، في طامورة تحت الأرض، وقد قيّد بحلق من الحديد حتّى أثرت بساقه ورضّت..حتّى قضى مسموماً في السجن ولم يشاهد عياله ولا أولاده..

كان الإمام الكاظم عليه السلام، يعلم بأنّه لا يعود إلى أرض جدّه، وسوف يُدفن في بغداد، في أرض غربة، وقبل خروجه بأيّام قال لأخيه عليّ بن جعفر: «**يا عليّ، لا بدّ من أن تمضي مقادير الله فيَّ، ولي برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أسوة، وبأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين**، عليهم السلام..

وفي بعض السنوات خرج الرشيد إلى الحجّ وبدأ بالمدينة وصار إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله، إنّي أعتذر إليك من شيء أريد أن أفعله، أريد حبس موسى بن جعفر، فإنّه يريد التشتيت بين أمّتك وسفك دمائها!!

فأمر بالقبض على الإمام عليه السلام وكان قائماً يصلّي عند رأس النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، فقطع عليه صلاته، وحُمل وهو يبكي ويقول: إليك أشكو يا رسول الله.. وقُيّد، وجعله في قبّة على بغل، وبعث به إلى البصرة..

قَطَعَ الرَّشِيْدُ عَلَيْهِ فَرْضَ صَلَاتِهِ قَسْراً وَأَظْهَرَ كَامِنَ الْأَحْقَادِ

وعندما وصل إلى البصرة حبسه عيسى بن جعفر المنصور،

وسمعه بعضهم وهو في السجن كثيراً ما يقول في دعائه: «**أللهمّ إنّك تعلم أنّي كنت أسالك أن تفرّغني لعبادتك، أللهمّ وقد فعلت فلك الحمد**».

وأرسل إليه الرشيد يأمره بسفك دمه، ولكنّه لم يفعل لِمَا رأى من صلاحه وعبادته، فصيّره الرشيد إلى بغداد مقيّداً تحفّ به الشرطة والحرّاس، فأُودع سجن الفضل بن الربيع..

امن البصرة السجن بغداد جابه

ابحديد وقيد ويدور اذهابه

ذبه ابسجن أظلم غلق بابه

او نهى السجان يمه الناس يصلون

وفي بعض المرّات ضاق صدر الإمام عليه السلام، من السجن، فلمّا جنَّ عليه الليل قام عليه السلام فجدّد طهوره واستقبل بوجهه القبلة وصلّى لله أربع ركعات، ثمّ دعا بهذه الدعوات:

«**يا سيّدي، نجِّني من حبس هارون، وخلّصني من يديه، يا مخلّص الشجر من بين رمل وطين وماء، ويا مخلّص اللبن من بين فرث ودم، ويا مخلّص الولد من بين مشيمة ورحم، ويا مخلّص النّار من بين الحديد والحجر، ويا مخلّص الروح من بين الأحشاء والأمعاء، خلّصني من يدي هارون**».

واستجاب الله دعاء الإمام فأخرجه هارون من السجن لكن لم يسمح له بالعودة إلى المدينة، ولم يلبث أن أدخله السجن مرّة

أخرى، ولم يخرج بعدها منه، وصار ينقل من سجنٍ إلى سجن..

مَا زَالَ يُنْقَلُ فِيْ السُّجُوْنِ مُعَانِياً عَضَّ الْقُيُوْدَ وَمُثْقَلَ الْأَصْفَادِ

وكانت له عليه السلام في السجن سجدة بعد انقضاض الشمس إلى الزوال، فأشرف عليه هارون من على السطح، فقال للربيع: يا ربيع ما هذا الثوب الذي أراه كلّ يوم في ذلك الموضع؟! فقال: يا أمير المؤمنين ما ذاك بثوب، وإنّما هو موسى بن جعفر عليه السلام، له كلّ يوم سجدة بعد طلوع الشمس إلى وقت الزوال، فقال هارون: أما إنّ هذا من رهبان بني هاشم..

وبقي الإمام عليه السلام على هذه الحالة من العبادة والصلاة والطاعة لله عزَّ وجلَّ ليله ونهاره، وهو يُنقل من سجنٍ إلى سجنٍ، ولمّا أبى الربيع قتله، لما رأى من صلاحه وعبادته أيضاً حوّله الرشيد، لعنه الله، بعد ذلك إلى حبس الفضل بن يحيى البرمكيّ، وأبى الفضل إلّا أن يكرمه أيضاً، فوسّع عليه وأكرمه..

فأخرجه الرشيد من عنده وصيّره عند السنديّ بن شاهك، الذي شدّد عليه وضيّق عليه في المأكل والمشرب، ومنع الناس من الدخول عليه، وأقفل الباب في وجهه، فلم يأذن له في الخروج إلّا لتجديد طهوره، وقيّده بثلاثة قيود من الحديد وزنها ثلاثون رطلاً، فكتب الإمام عليه السلام للرشيد من الحبس: «**إنّه لن ينقضي عنّي يوم من البلاء إلّا انقضى عنك يوم من الرخاء، حتّى نقضي جميعاً إلى يوم ليس له انقضاء، يخسر فيه المبطلون**».

وكتب إلى أحد أصحابه وهو عليّ بن سويد كتاباً جاء فيه: «**إن أوّل ما أُنهي إليك نفسي في لياليَّ هذه، غير جازع ولا نادم، ولا شاكٍّ فيما هو كائن ممّا قضى الله وقدّر وحتم**».

وأمر اللعين هارون السنديَّ بن شاهك أن يدسّ السمّ في طعام له، وفي بعض الروايات جعله له في رُطب، ولمّا أكله الإمام عليه السلام، قال له السنديّ: تزداد؟ فقال له: حسبك قد بلغت ما تحتاج إليه فيما أُمرت به. فأحسّ الإمام بالسمّ يسري في بدنه، فمرض وتوعّك ثلاثة أيّام..

فأحضر له السنديّ القضاة والعدول قبل وفاته ليشهدوا عند الناس بأنّه ليس به علّة ولا مرض ولا ضرر، فالتفت عليه السلام إليهم فقال لهم: «**اشهدوا أنّي مقتول بالسمّ منذ ثلاثة أيّام، استشهدوا أنّي صحيح الظاهر ولكنّي مسموم وسأحمرّ في آخر هذا اليوم حمرة**».. وفي رواية أخرى أنّه قال: «**يا فلان ويا فلان، إنّي سقيت السمّ في يومي هذا، وفي غدٍ يصفرّ بدني، وبعد غدٍ يسودّ وأموت**».

وأحضر له الطبيب فنظر في يده فرأى خضرة في بطن راحته، وكان السمّ قد اجتمع في ذلك الموضع، فانصرف الطبيب إليهم فقال: والله هو أعلم بما فعلتم به..

وبقي الإمام يعاني ألم السمّ وقد سرى في بدنه، يحمرّ تارة ويصفرّ أخرى ويسودّ ثالثة، حتّى حضر أجله واستقبل القبلة،

وعرق جبينه، وسكن أنينه، وفاضت روحه الطاهرة غريباً مظلوماً مسموماً..

رحم الله من نادى: وا كاظماه وا إماماه وا غريباه وا مسموماه..

وفي رواية أنّهم لفّوه في بساط وأُمر الفرّاشون أن يقعدوا عليه حتّى قضى..

ايلوج وحده بالحبس ويلي عليه

امن الخلق ما حد گرب وادنى اليه

غمض اعيونه اومد رجله وايديه

ومن الألم جسمه نحل والقلب ذاب

وقام الإمام الرضا عليه السلام بتغسيله وتحنيطه وتكفينه والصلاة عليه من حيث يخفى على الناس ذلك، وأمر السنديّ بن شاهك أن يخرجوه على نعش ويضعوه على جسر الرصافة ببغداد، وينادوا عليه: هذا إمام الرافضة فاعرفوه..

وأقام أربعة أشخاص أن ينادوا عليه- بعكس هذا النداء-: ألا من أراد أن ينظر إلى (الطيّب بن الطيّب) موسى بن جعفر فليخرج.. وفي رواية أنّه تُرك على الطريق ثلاثة أيّام يأتي من يأتي فينظر إليه..

ويح قلبي للذي أمسى وحيد

بالحبس لمن قضى ابسم الرشيد

اعلى الجسـر جابوه وبرجله الحديد
بالعبـا ملفـوف مسـلوب الثيـاب

بالحبـس قضّـى العمر لـمّـن قضى
طـاح ركـن الديـن واسـودّ الفضـا

يـوم نـادوا ذا إمـام الرافضـه
والعجـب كل العجب منـع العذاب

إلـى أن خرج سليمان بن أبي جعفر عـمّ الرشيد، وأخذ الجنازة منهـم ووضعها على مفـرق أربع طرق وأقام من ينـادي عليها: من أراد أن ينظر إلى الطيّب بن الطيّب موسى بن جعفر فليخرج، فجاء النـاس وشيّعوه حتّى دفنوه في مقابر قريش ببغداد.. ودفنوه بقيوده كما أوصى بذلك..

وَقَـبْـرٍ بِـبَـغْـدَادَ لِنَفْسٍ زَكِـيَّـةٍ تَضَمَّنَهَا الرَّحْمَنُ فِيْ الْغُرُفَاتِ

* * *

مجلس شهادة

الإمام الرضا عليه السلام

يَا حُجَّةَ اللهِ قَدْ ضَاقَ الْخِنَاقِ بِنَا ... فَـأَيُّ هَـوْلٍ مِنَ الدُّنْيَا نُقَاسِيْهِ؟!

أَكُلَّ يَوْمٍ لَكُمْ يَا بْنَ الزَّكِيِّ دَمٌ ... يُطَلُّ هَـدْراً وَمَـا مِـنْ ثَائِرٍ فِيْهِ؟

فَمِنْ صَرِيْعٍ قَضَىْ تَحْتَ الظُّبَا عَطَشاً ... وَفَوْقَ عُجْفِ الْمَطَا سِيْقَتْ ذَرَارِيْهِ

وَبَيْنَ مَنْ مَاتَ صَبْراً بَعْدَمَا سُقِيَتْ ... بِالسُّمِّ أَحْشَاؤُهُ، وَيْـلٌ لِسَاقِيْهِ!

أَفْدِي غَرِيْباً عَنِ الْأَوْطَانِ قَدْ شَحَطَتْ ... بِـهِ الـنَّـوَىْ عَـنْ مَغَانِيْهِ وَأَهْلِيْهِ

الضَّامِنَ الْخُلْدَ فِيْ أَعْلَىْ الْجِنَانِ لِمَنْ ... يَـزُوْرُ فِـيْ طُوْسَ مَـثْـوَاهُ وَيَأْتِيْهِ

لَمْ أَنْسَ إِذْ غَالَهُ الْمَأْمُوْنُ حَيْثُ غَدَا ... يُبْدِيْ لَهُ غَيْرَ مَا فِيْ الْقَلْبِ يُخْفِيْهِ

وَدَسَّ بِالْعِنَبِ السُّمَّ النَّقِيْعَ لَهُ ... فَـبَـاتَ مُضْطَهَداً مِمَّا يُعَانِيْهِ

حَتَّىْ إِذَا أَزِفَ الْمَقْدُوْرُ جَاءَ لَهُ ... الْجَوَادُ وَالدَّمْعُ يَجْرِيْ مِنْ مَآقِيْهِ

سُرْعَانَ مَا جَاءَهُ مِنْ طِيْبَةٍ فَغَدَا ... أَبُـوْهُ يُدْنِيْهِ لِلنَّجْوَىْ وَيُوْصِيْهِ

لَكِنَّ جِسْمَ حُسَيْنٍ بِالطُّفُوْفِ ثَوَىْ ... عَارٍ ثَلَاثاً وَوَحْشُ الْقَفْرِ تَبْكِيْهِ

ظَمْآنُ لَمْ يَرْوِ عَذْبُ الْمَاءِ غُلَّتَهُ ... وَالسُّمْرُ تُـرْوَى نَجِيْعاً مِنْ بَوَانِيْهِ

عَرْيَانُ بَاتَ بِلَا غُسْلٍ وَلَا كَفَنٍ ... وَمَـا دَنَـا أَحَـدٌ مِـنْـهُ يُـوَارِيْـهِ[1]

(١) القصيدة للخطيب الأستاذ الشيخ محمّد عليّ اليعقوبيّ.

شعبي:

اويلي اعلـى الرضا من عـدل رجليه

تشـاهد ويـل قلبـي واسـبل ايديـه

روحـه خلصـت او ما ظـل نفس بيه

أتـاري مـات اويلـي اوفـرّگ البيـن

نهـض عنـه الجـواد او جـذب ونّـه

حزيـن او عقـب أبـوه النـوح فنّـه

بعـد مـا جفنـه او مـن فـرغ منّـه

اجـوه أهـل البلـد كلهـم محزنيـن

يويلي اشـلون ضجه صـارت ابطوس

اجت النـاس بس تلطم علـى الروس

الله اويـاك آيـا شـمس الشـموس

رحـت واحنـه بعـد نـورك مظلمين

نگـول من العـزه انگلبت خريسـان

لفـت لـه بالگبـر بثيـاب الأحـزان

بـس احسـين ظـل مطـروح عريـان

ظـل ابكربلـه واهلـه مظعنيـن

أبوذيّة:

زمانك يالرضا بآهات عمّك

وصبح عام الحزن والنوح عمّك

رحت مسموم مثل الحسن عمّك

وغربتك من غريب الغاضرية

«أللهمّ صلّ على عليّ بن موسى الرضا المرتضى، الإمام التقيّ النقيّ، وحجّتك على من فوق الأرض ومن تحت الثرى، الصدّيق الشهيد، صلاة كثيرة تامّة زاكية متواصلة مترادفة، كأفضل ما صلّيت على أحدٍ من أوليائك».

كان الإمام الرضا عليه السلام، يعلم بما يصير إليه أمره، وما يجري عليه على يد المأمون العبّاسيّ، ويحدّث بعض أصحابه بذلك، ولهذا لمّا أراد المأمون حمله إلى خراسان، أخذ الإمام يودّع المدينة، مدينة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لأنّه يعلم أنّه لا يعود إليها أبداً، وسيدفن غريباً عنها بعد أن يقضي مسموماً شهيداً.

فعن مخول السجستانيّ قال: لمّا ورد البريد بإشخاص الرضا عليه السلام إلى خراسان كنت أنا بالمدينة، فدخل المسجد ليودِّع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فودَّعه مراراً كلّ ذلك يرجع إلى القبر ويعلو صوته بالبكاء والنحيب، فتقدّمت إليه وسلّمت عليه فردَّ السلام، وهنَّأته، فقال: «**زرني، فإنّي أخرج من جوار جدّي صلى الله عليه وآله وسلم فأموت في غربة، وأُدفن في جنب هارون**»، قال: فخرجت متَّبعاً لطريقه حتّى مات بطوس ودفن إلى جنب هارون.

وعـن الإمام الرضا عليه السلام، أنّه قال: «**إنّـي حيث أرادوا الخروج بي من المدينة جمعت عيالي، فأمرتهم أن يبكوا عليّ حتّى أسمع، ثـمّ فرّقـت فيهـم اثني عشر ألـف دينار، ثمّ قلت: أمـا إنّي لا أرجع إلى عيالي أبداً**».

وبعـد أن أشخصـه المأمون إلـى خراسان ووصل إلـى سناباد، دخـل إلى دار حميد بن قحطبة الطائيّ والقبّة التي فيها قبر هارون الرشيـد، ثـمّ خطّ بيده إلـى جانبه، ثمّ قـال: «**هذه تربتـي، وفيها أدفـن، وسيجعـل الله هـذا المكان مختلـف شيعتي وأهـل محبّتي، والله مـا يزورنـي منهم زائر، ولا يسلّم عليّ منهم مسلّم، إلّا وجب له غفران الله ورحمته بشفاعتنا أهل البيت**».

ولمّـا دخل دعبـل بن علـيّ الخزاعيّ على مولانـا أبي الحسن الرضا عليه السلام، في خراسان وأنشده قصيدته المعروفة:

مَدَارِسُ آيَاتٍ خَلَتْ مِنْ تِلَاوَةٍ وَمَنْزِلُ وَحْيٍ مُقْفِرُ الْعَرَصَاتِ

وانتهى إلى قوله:

وَقَبْرٍ بِبَغْدَادَ لِنَفْسٍ زَكِيَّةٍ تَضَمَّنَهَا الرَّحْمَنُ فِيْ الْغُرُفَاتِ

قال لـه الرضا عليه السلام: «**أفلا أُلحـق لك بهـذا الموضع بيتين، بهما تمام قصيدتك؟ فقال: بلى يا بن رسول الله، فقال** عليه السلام:

وَقَبْرٍ بِطُوْسٍ يَا لَهَا مِنْ مُصِيْبَةٍ أَلَحَّتْ عَلَىْ الْأَحْشَاءِ بِالْحُرُقَاتِ

إِلَىْ الْحَشْرِ حَتَّىْ يَبْعَثَ اللهُ قَائِماً يُـفَـرِّجُ عَـنَّا الـهَـمَّ وَالْـكَـرَبَـاتِ

فقـال دعبل: يا بن رسـول الله، هذا القبر الذي بطوس، قبر من هو؟ فقال الرضا عليه السلام: «**قبري! ولا تنقضي الأيّام والليالي حتّى تصيـر طوس مختلف شيعتي وزوّاري، ألا فمـن زارني في غربتي بطوس كان معي في درجتي يوم القيامة مغفوراً له**».

نعـم، وهكـذا كان، فبعـد أن بـاءت كلّ مخطّطـات المأمون من التنازل عن الخلافـة وولاية العهد بالفشل ولم تحقّق أهدافها، قام بتشديد الخناق عليه..

ولم يزل الإمام عليه السلام مغموماً مكروباً إلى أن قُبض صلوات الله عليـه، حتّى إنّه كان يدعـو الله تعالى أحياناً: «**أللّهمّ، إن كان فرجي ممّا أنا فيه بالموت، فعجِّل لي الساعة**».

ورأى رسـولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم فـي بعض لياليـه، فقال لمسافـر- أحد أصحابـه-: أما إنّي رأيت رسـول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، البارحة، وهو يقول: يا عليّ، ما عندنا خير لك.

وأعيـا المأمـونَ أمـرُ الإمام عليه السلام، فعـزم على قتلـه واغتياله بالسـمّ.. فعـن شخص يُقال لـه هرثمة أنّه قال لـه الرضا عليه السلام: إسمـع وَعِـهْ، يا هرثمـة، هـذا أوان رحيلي إلـى الله تعالى ولحوقي بجـدّي وآبائي عليهم السلام، وقد بلغ الكتـاب أجله وقد عزم هذا الطاغي علـى سمّي في عنب ورمّان مفـروك، فأمّا العنب فإنّه يغمس السلك في السمّ ويجذبه بالخيط بالعنب، وأمّا الرمّان فإنّه يطرح السمّ في كفّ بعض غلمانه ويفرك الرمّان بيده ليتلطّخ حَبَّه ذلك السمّ، وإنّه

سيدعونـي في اليوم المقبـل ويقرِّب إليَّ الرمّـان والعنب، ويسألني أكلها فآكلها، ثمّ ينفذ الحكم ويحضر القضاء..

وعـن أبي الصلت الهـرويّ أنّه قال له: يا أبـا الصلت، غداً أدخل على هذا الفاجر، فإن أنا خرجت مكشوف الرأس فتكلَّم أكلّمك، وإن خرجت وأنا مغطّى الرأس فلا تكلّمني، قال أبو الصلت: فلمّا أصبحنا من الغد لبس ثيابه، وجلس فجعل في محرابه ينتظر، فبينا هو كذلك إذ دخـل عليه غـلام المأمون، فقال له: أجب أميـر المؤمنين، فلبس نعلـه ورداءه، وقام ومشـى وأنا أتبعه حتّى دخل علـى المأمون، وبين يديـه طبـق عليه عنـب وأطبـاق فاكهة، وبيـده عنقود عنـب قد أكل بعضه، وبقي بعضه. فلمّا أبصر الرضا عليه السلام وثب إليه فعانقه وقبَّل مـا بين عينيه وأجلسه معه ثمّ ناوله العنقود، وقال: يا بن رسول الله، ما رأيت عنباً أحسن من هذا، فقال له الرضا عليه السلام: ربما كان عنباً حسنـاً يكـون من الجنّة، فقـال له: كل منه، فقال لـه الرضا عليه السلام: تعفينـي عنـه، فقـال: لا والله فإنّك تسرّني إذا أكلـت منه، لا بدّ من ذلك، وما يمنعك منه، لعلّك تتّهمنا بشيء؟! (فاستعفاه ثلاث مرّات، وهو يسأله بمحمّد وعليّ أن يأكل منه)، فتناول العنقود فأكل منه، ثمّ ناولـه فأكل منه الرضا عليه السلام، ثلاث حبّات، ثـمّ رمى به وقام، فقال المأمـون: إلـى أين؟ فقال عليه السلام: إلى حيـث وجّهتني. وخرج مغطّى الرأس، فلم أكلّمه حتّى دخل الدار، فأمر أن يغلق الباب، فَأُغْلِقَ، ثمّ نام على فراشه، ومكثت واقفاً في صحن الدار مهموماً محزوناً.

فبينا أنا كذلك، إذ دخل عليّ شاب حسن الوجه، قطط الشعر، أشبه الناس بالرضا عليه السلام فبادرت إليه وقلت له: من أين دخلت والباب مغلق؟ فقال: الذي جاء بي من المدينة في هذا الوقت، هو الذي أدخلني الدار والباب مغلق، فقلت له: ومن أنت؟ فقال لي: أنا حجّة الله عليك، يا أبا الصلت، أنا محمّد بن عليّ. ثمّ مضى نحو أبيه عليه السلام، فدخل وأمرني بالدخول معه، فلمّا نظر إليه الرضا عليه السلام وثب إليه فعانقه وضمّه إلى صدره، وقبّل ما بين عينيه، ثمّ سحبه سحباً في فراشه وأكبَّ عليه محمّد بن عليّ عليه السلام يقبّله ويسارّه بشيء لم أفهمه.

يقول أبو الصلت: ..ثمّ امتدّ الرضا عليه السلام، على المقعد، وغطّاه محمّد بالرداء وصار إلى وسط الدار، وقال: يا أبا الصلت، فقلت: لبّيك يا بن رسول الله، فقال: عظّم الله أجرك في الرضا فقد مضى!

وا إماماه، واسيّداه، واغريباه..

فَاغْتَالَهُ بِالْعِنَبِ الْمَسْمُوْمِ وَيْلٌ لِذَاكَ الظَّالِمِ الْغَشُوْمِ
وَمَادَتِ الْأَرْضُ بِلَابِثِيْهَا وَسَاخَتِ الْأَرْضُ بِمَنْ عَلَيْهَا
قَضَىْ شَهِيْداً صَابِراً مُحْتَسِبَا وَهُوَ غَرِيْبٌ بَلْ غَرِيْبُ الْغُرَبَا
تَقَطَّعَتْ أَمْعَاؤُهُ بِالسُّمِّ فِدَاهُ نَفْسِيْ وَأَبِيْ وَأُمِّيْ

وضجّت طوس ضجّة واحدة، وعلا الصياح، وأسرع الناس من

كلّ حدب وصوب ليستعلموا الخبر..وهم يقولون: هذا قتله واغتاله- يَعْنُوْنَ المأمون- قُتل ابن رسول الله..

يـا عين علـى الرضا صبـي الدمع دم

عزيـز الـروح بفـراش المـرض تـم

خلـص قلبـه بونينـه وفتتـه السـم

سـقط مـن سـاعته ومـدّد الرجليـن

وقـام ولده الإمام الجـواد عليه السلام ، بتغسيلـه، وتكفينه، والصلاة عليه من حيث يخفى على الناس أمره..

سيّـدي يا أبا محمّد الجواد، عندمـا جئت إلى أبيك وجدته على فراشه، ضمّك إلى صدره وقبّلك وناجاك، ثمّ فارقت روحه الدنيا..

ولكن ما حال جدّك زين العابدين عليه السلام ، مع أبيه الحسين عليه السلام ؟! لـم يتمكّن أن يكـون إلى جانبه في لحظاته الأخيـرة، ولكنّه نظر إليه، بعد ذلك، من بعيد..ولكن كيف كانت حالته عندها؟!

يُـروى عنه عليه السلام أنّه قـال: «**..لمّـا أصابنـا بالطفّ مـا أصابنا وقُتل أبي عليه السلام ، وقُتل من كان معه من وُلْده وإخوته وسائر أهله، وحُملت حرمه ونساؤه على الأقتاب يُراد بنا الكوفة، فجعلت أنظر إليهـم صرعـى ولم يوارَوْا، فعظم ذلك في صدري واشتدّ لما أرى منهـم قلقي، فـكادت نفسي تخرج، وتبيّنت ذلـك منّي عمّتي زينب الكبـري بنـت علـيّ عليه السلام ، فقالـت: ما لـي أراك تجـود بنفسك يا بقيّة جدّي وأبي وأخوتي؟! فقلت: وكيف لا أجزع وأهلع وقد أرى**

سيّدي وأخوتي وعمومتي وولد عمّي وأهلي مضرّجين بدمائهم، مرمّلين بالعرى، مسلّبين، لا يكفّنون ولا يوارَوْن، ولا يعرج عليهم أحد، ولا يقربهم بشر، كأنّهم أهل بيت من الديلم والخزر؟!

إِنْ يَبْقَ مُلْقىً بِلَا دَفْنٍ فَإِنَّ لَهُ قَبْراً بِقَلْبِ الَّذِي وَالَاهُ مَحْفُوْرَا

* * *

مجلس شهادة

الإمام الجواد عليه السلام

إِنْ أَرَدْتَ النَّجَاةَ يَـوْمَ الْمَعَادِ ... جُدْ بِدَمْعٍ عَلَىٰ الْإِمَـامِ الْجَوَادِ

لَسْتُ أَنْسَاهُ حِيْنَ أَشْخَصَهُ المَأْ ... مُـوْنُ مِـنْ يَـثْـرِبٍ إِلَـىٰ بَـغْـدَادِ

قَدْ قَضَىٰ فِيْ بَغْدَادَ وَهُوَ غَرِيْبٌ ... بِـفُـؤَادٍ مِـنْ شُعْلَةَ السُّمِّ صَادِ

وَالَّتِيْ قَدَّمَتْ لَهُ السُّمَّ أُمُّ الْـ ... ـفَضْلِ بُغْضاً مِنْهَا لِأُمِّ الْهَادِيْ

تَـرَكُـوْا نَعْشَهُ بِقَنْطَرَةِ الْبُرْ ... دَانِ مُلْقىً اَلُ الشَّقَا وَالْعِنَادِ

فَاسْتَمَاتَتْ أَشْيَاعُهُ نَحْوَ حَمْلِ الـ ... ـنَّعْشِ كَيْ لَا يَبْقَىٰ رَهِيْنَ الْوِهَادِ

وَسَرَىٰ فِيْهِمُ الْحَمَاسُ إِلَىٰ أَنْ ... حَـمَـلُـوْهُ رَفْـعـاً عَـلَـىٰ الْأَجْـيَـادِ

مَا بَقَى مِثْلَ جَدِّهِ السِّبْطِ عَارِيْ الْـ ... ـجِسْمِ تَعْدُوْ عَلَىٰ قِرَاهُ الْعَوَادِيْ

تَـرَكُـوْا جِسْمَهُ ثَـلاثـاً وَعَـلَّـوْا ... رَأْسَهُ فِيْ رُؤُوْسِ سُمْرِ الصِّعَادِ

وَسَـرَوْا فِـيْ نِسَائِهِ حَاسِرَاتٍ ... يَـا لَـقَـوْمِـيْ بَيْنَ الـرِّجَـالِ بَـوَادِ

وَتَرَاهَا يَا خِيْرَةَ اللهِ فِيْ السَّبْـ ... ـيِ وَسَتْرِ الْوُجُوْهِ مِنْهَا الْأَيَادِي[1]

(١) القصيدة للسيد مهدي الأعرجي.

شعبي:

مـات الجـواد اليـوم مسـموم
عقـب الهظيمـة او كل الهمـوم

والهـادي يبكـي ابقلـب مالـوم
وايصيـح بويـه اهنـا يمحـروم

شـنهو السـبب سـمتك هالقـوم
والشـيعة تبكـي دمـه ابهليـوم

لـجـل الـجـواد الـراح مـظـلـوم

أبوذيّة:

روحـي لحـزن أبـو الهـادي بهداي
أظـل ألطـم علـى امصابـه بهيداي

يـا شـيّال النعـش إمشـي بهيـداي
سـره ابجسـمه العطش والسم سويّه

«السلام على الباب الأقصد، والطريق الأرشد، والعالم المؤيَّد، ينبوع الحِكَم، ومصباح الظُّلَم، سيّد العرب والعجم، الهادي إلى الرشاد، الموفَّق بالتأييد والسَّداد، مولاي أبي جعفر محمّد بن عليّ الجواد، أشهد يا وليّ الله أنّك أقمت الصلاة، وآتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر، وجاهدت في سبيل الله حقّ جهاده، وعبدت الله مخلصاً حتّى أتاك اليقين، فعشت سعيداً ومضيت شهيداً، يا ليتني كنت معكم فأفوزَ فوزاً عظيماً، ورحمة الله وبركاته».

عن أبي يحيى الصنعانيّ، قال: كنت عند أبي الحسن عليه السلام، فجيء بابنه أبي جعفر عليه السلام، وهو صغير، فقال: هذا المولود الذي لم يولد مولود أعظم على شيعتنا بركة منه.

وفي رواية أخرى أنّه لمّا وُلد أبو جعفر عليه السلام، قال الرضا عليه السلام لأصحابه: قد وُلد لي شبيه موسى بن عمران فالق البحار، وشبيه عيسى بن مريم، قُدِّست أُمٌّ ولدته قد خُلِقت طاهرة مطهّرة. وكان طول ليلته يناغيه في مهده.

ويُروى أنّه قال لبَنَان بن نافع: يا بن نافع! سلِّم، وأذعن له بالطاعة، فروحه روحي، وروحي روح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم..

لقد ابتُلي هذا الإمام العظيم بابتلاءات عديدة:

منها: اليتم، فقد فارقه الإمام الرضا عليه السلام وهو صغير حينما أشخصه المأمون إلى خراسان، وقد آلم هذا الموقف قلب إمامنا

الجواد عليه السلام فكان يبكي لفراق أبيه..

ومنهـا: الغربة حيث أُخرج من مدينة جدّه صلى الله عليه وآله وسلم وأُبعد عنها، فقد ودّع الإمام أهله وولده وترك حرم جدّه صلى الله عليه وآله وسلم، وذهب إلى بغداد بقلبٍ حزين. ويُروى أنّه لمّا خرج من المدينة في المرّة الأخيرة، قال: «**ما أطيبك، يا طيبة! فلست بعائد إليك**».

ومنها: السجن، إذ سجنه المعتصم، ولم يأذن لأحد بالدخول عليه.

ومنهـا: السمّ، فقد كان المعتصم يتربّص بالإمام ويعمل الحيلة فـي الفتـك به، إلـى أن سنحت له الفرصـة فدسّ إليـه السمّ، وقد اختلفت الرواية في كيفيّة سمّه له:

فمـن قائل: أمر فلاناً (من كتّاب وزرائـه) بأن يدعو الإمام إلى منـزل الوزيـر، فدعاه، فأبـى أن يجيبه، وقـال: «**قد علمت أنّي لا أحضـر مجالسكم**»، فقال: إنّي إنّمـا أدعوك إلى الطعام، وأحبّ أن تطـأ ثيابي، وتدخل منزلي فأتبرّك بذلك، فقد أحبّ فلان بن فلان (مـن وزراء المعتصم) لقـاءك. فصار إليه، فلمّـا طَعِمَ منه أحسّ بالسـمّ، فدعا بدابّته، فسأله ربّ المنـزل أن يقيم، قال: «**خروجي مـن دارك خيـر لـك**». فلم يزل يومه ذلـك وليله في خِلفَـةٍ[1] يتقيّأ ذلك السمّ ويعاني آلامه في بطنه، حتّى قُبض عليه السلام.

وقائل: إنّه أنفذ إليه شراب حماض الأترج- شبيه بالليموناضة- وأصرّ على ذلك، فشربها عليه السلام عالماً بفعلهم.

(١) أي الهيضة، وهي انطلاق البطن والقيء.

وقـال آخرون: إنّ التي سمّتـه زوجته أمّ الفضل بنت المأمون لمّا قدمت معه من المدينة إلى المعتصم:

فلمّـا انصـرف أبو جعفـر الجـواد عليه السلام إلى العـراق لم يزل المعتصـم وجعفر بن المأمـون يدبِّرانِ ويعمـلانِ الحيلة في قتله، فقـال جعفر لأختـه أمّ الفضل- وكانت لأمّه وأبيـه- في ذلك، لأنّه وقف على انحرافها عنه وغيرتها عليه لتفضيله أمّ أبي الحسن ابنه عليها مع شدّة محبّتها له، ولأنّها لم تُرزق منه بولد، فأجابت أخاها جعفـراً، فرُوي أنّها وضعت السمّ في منديل وأعطته إيّاه فمسح به، ورُوي أنّهم جعلوا سمّاً في شيء من عنب رازقيّ وكان يعجبه العنب الرازقـيّ، وقدّمته له، فلمّا أكل منه ندمت وجعلت تبكي. فقال لها: «**ما بكاؤك؟ والله ليضربنّك الله بفقر لا ينجبر، وبلاء لا ينستر**»، فبُليـت بعلّة في أغمض المواضع مـن جوارحها، صارت ناصوراً[1] ينتقـض فـي كلّ وقت فأنفقت مالهـا وجميع ملكها علـى تلك العلّة حتّـى احتاجـت إلى رِفْد الناس. وتردّى جعفر فـي بئر فأخرج ميتاً وكان سكرانَ.

ورُوي عـن الإمـام الرضا عليه السلام، أنّـه قال في حقّ ولـده الإمام الجـواد عليه السلام: يُقتل غصباً فيبكي له وعليه أهـل السماء، ويغضب الله علـى عدوّه وظالمـه فلا يلبث إلّا يسيراً حتّـى يعجّل الله به إلى عذابه الأليم وعقابه الشديد..

(١) الناصور: علّة تحدث في البدن، بمادة خبيثة ضيّقة الفم يعسر برؤها.

وعلى أيّ حال فقد جرى السمّ في بدن الإمام عليه السلام، وبقي يتقلّب في فراشه، يعاني حرارة السمّ في يومه وليلته، يتقيّأ ذلك السمّ ويشكو آلام بطنه، حتّى دنا أجله..

يقول الحجّة الشيخ محمّد حسين الإصفهانيّ، قدّس سرّه، في أرجوزته الشهيرة:

هُوَ الْجَوَادُ لَا جَوَادَ غَيْرُهُ لَا خَيْرَ فِيْ الْجَوَادِ إِلَّا خَيْرُهُ
جَادَ بِنَفْسِهِ سَمِيْماً ظَامِيَا نَالَ مِنَ الْجُوْدِ مَقَاماً سَامِيَا
وَالْعُرْوَةُ الْوُثْقَىْ الَّتِيْ لَا تَنْفَصِمُ تَقَطَّعَتْ ظُلْماً بِسُمِّ الْمُعْتَصِمِ
قَضَىْ شَهِيْداً وَهْوَ فِيْ شَبَابِهِ دُسَّ إِلَيْهِ السُّمَّ فِيْ شَرَابِهِ
وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ بِالْبُكَاءِ عَلَىْ عِمَادِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ
قَضَىْ بَعِيْدَ الدَّارِ عَنْ بِلادِهِ وَعَنْ عِيَالِهِ وَعَنْ أَوْلَادِهِ
تَعْساً وَبُؤْساً لِابْنَةِ الْمَأْمُوْنِ مِنْ غَدْرِهَا لِحِقْدِهَا الْمَكْنُوْنِ!
وَيْلٌ لَهَا مِمَّا جَنَتْ يَدَاهَا وَفِيْ شَقَاهَا تَبِعَتْ أَبَاهَا

ورُوي عنه عليه السلام، أنّه قال في العشيّة التي توفّي فيها: «**إنّي ميّت الليلة**»، ثمّ قال: «**نحن معشر إذا لم يرض الله لأحدنا الدنيا نَقَلَنا إليه**».

ويقال إنّ الإمام لمّا تناول السمّ تقطّعت أمعاؤه وأخذ يتقلّب على الأرض يميناً وشمالاً من شدّة الألم، ويجود بنفسه والتهب قلبه عطشاً- فقد كان الوقت شديد الحرّ والسمّ يغلي في جوف الإنسان- فطلب جرعة من الماء، والتفت إلى تلك اللعينة قائلاً: ويلك إذا قتلتِني فاسقيني شربة من الماء، فكان جوابها له أن أغلقت الباب

ثمّ خرجت من الدار، فبقي الإمام يوماً وليلة يعالج ألم السمّ.. ولا يجد أحداً يسقيه شربة من الماء..

ماحّد حضر عنده يا زهرة من الاحباب

وحده يلوج ابحجرته مغلوقة الباب

والجسم متورم من السم والقلب ذاب

ماحّد حضر عنده اوسقاه قطرة امّيه

ولمّا بلغت روحه التراقي صعد سطح الدار، ورمق السماء بطرفه، وتشهّد الشهادتين، وغمّض عينيه، وأسبل يديه ورجليه، وعرق جبينه، وسكن أنينه، وفارقت روحه الدنيا..

وا إماماه.. وا سيّداه.. واجواداه.. وا غريباه.. وا مظلوماه.. وا مسموماه..

قالوا: وبقي جسد الإمام ثلاثة أيّام على سطح الدار..

ظل ثلث تيام مرمي ولا

قرابة الحضر عنده

ايغسله اوجسمه يشيله

وبيده ايواريه ابلحده

بالشمس مطروح جسمه

مثل ابو السجاد جده

ولمّا علم الشيعة بقتله، قامت الواعية في داره، وعلا الضجيج والبكاء والعويل وصاروا ينادون : وا إماماه، وا سيّداه، وا محمّداه،

وا كفيل اليتامى والمساكين..

ثمّ جـاء الإمام الهادي من حيث يخفى علـى الناس أمره فغسّل أباه وكفّنه وصلّى عليه. ويقال إنّه رثاه قائلاً: وا أبتاه، آه، وا وحدتاه، وا قلّة ناصراه، وا انقطاع ظهراه، ليتني كنت لك الفداء، يا أبتاه من بعدك وا وحشتاه، فراقك قد أعمى عيني، وهيّج حزني، وقطّع نياط قلبـي، يا أبتاه اقرأ آباءك عنّي السلام، وأخبرهم بما نحن فيه من الهوان..

ثمّ حملوا الإمام وشيّعوه ودفنوه عند جدّه الإمام الكاظم عليه السلام..

أيّها الموالي: رغم عظم تلك المصيبة على إمامنا الجواد عليه السلام، لكن بقي جسده سالماً، رأسه على جسده، لم يرفع على رأس الرمح، لم تطأ جسده الخيل بحوافرها.. وقد غُسِّل وشُيِّع ودُفن بعد ذلك..

لكن أسفي على غريب كربلاء..أسفي عليك أبا عبد الله..

لَهَفِيْ عَلَىْ الصَّدْرِ الْمُعَظَّمِ يَشْتَكِيْ مِنْ بَعْدِ رَشْقِ النَّبْلِ، رَضَّ جِيَادِ
لَهَفِيْ لِرَأْسِكَ وَهْوَ يُرْفَعُ مُشْرِقاً كَـالْـبَـدْرِ فَـوْقَ الـذَّابِـلِ الْمَيَّادِ

* * *

مجلس شهادة

الإمام الهادي عليه السلام

طُوْلَ الْمَدَىْ لَا يَنْقَضِيْ تَعْدَادِيْ ... وَالدَّمْعُ فِيْ الْخَدَّيْنِ مِنِّيْ بَادِيْ
وَجْدِيْ يَزِيْدُ وَمُهْجَتِيْ مَسْعُوْرَةٌ ... وَتَشُبُّ نِيْرَانُ الْجَوَىْ بِفُؤَادِيْ
وَاللَّيْلُ قَدْ أَمْسَىْ مَسَاهُ تَرَاكَمَتْ ... سُحْبُ الْهُمُوْمِ عَلَيَّ كَـالْأَطْـوَادِ
وَأَنَـا مِنَ الْوَجْدِ الْمُلِحِّ مُنَغَّصٌ ... أَبْكِيْ كَمَا يَبْكِيْ الْحَمَامُ الشَّادِي
وَمُرِيْعَةٍ هَجَمَتْ عَلَيَّ بِلَوْمِهَا ... بِاللَّوْمِ تَلْحُوْنِيْ هُجُوْمَ عَـوَادِي
تَدْعُوْ أَلَا خَفِّضْ عَلَيْكَ فَمَا الَّذِيْ ... يَـدْعُـوْكَ لِـلأَحْـزَانِ وَالْإِنْـشَـادِ
هَلْ أَنْتَ تَبْكِيْ مِنْ دِيَارٍ قَدْ خَلَتْ ... مِنْ أَهْلِهَا فَتَصَرَّحَتْ كَالْوَادِي؟
أَوْ أَنْـتَ تَبْكِيْ لِلْأَحِبَّةِ إِذْ هُمُ ... شَطَّ الْمَزَارُ بِهِمْ عَلَىْ الْإِبْعَادِ؟
أَوْ لِلزَّمَانِ الْحُلْوِ قَـدْ فَارَقْتَهُ ... وَبِـهِ نَعِمْتَ الْعَيْشَ بِـالْأَرْغَـادِ؟
أَمْ لِلشَّبَابِ وَقَدْ تَوَلَّىْ وَانْثَنَىْ ... جَيْشُ الْمَشِيْبِ عَلَيْكَ قَهْراً عَادِي؟
فَأَجَبْتُهَا: كَلَّا فَمَا كُلُّ الَّذِيْ ... خِلْتِيْهِ يَحْدُوْنِيْ عَلَىْ التَّعْدَادِ
لَكِنْ شَجَا قَلْبِيْ وَأَجْرَىْ مَدْمَعِيْ ... مَا قَدْ أُصِيْبَ بِهِ عَلِيُّ الْهَادِي
مِنْ مِحْنَةٍ وَإِلَـىْ أَشَدَّ، حَدَا بِهِ ... كَـيْـدُ الْـعَـدُوِّ وَنِـقْـمَـةُ الْحُسَّادِ
جَلَبُوْهُ عَنْ أَكْنَافِ طِيْبَةَ قَسْرَةً ... فَبَقَىْ يُعَانِيْ حَسْرَةَ الْإِبْـعَـادِ
وَيُسَامُ مِنْهُمْ بِالْهَوَانِ عَـدَاوَةً ... وَهْـوَ التَّقِيُّ وَقُـدْوَةُ الْأَمْـجَـادِ[1]

(١) القصيدة للشيخ حسن القيسيّ البحرانيّ.

شعبي:

غمض اعيونه ومات بديار غريبه

والحسن هاجت حسرته وعالي نحيبه

وسجاه بالحجره وطلع مشقوق جيبه

وتجري ادموعه ويصفق اشماله ابيمينه

وبيده الطاهرة غسله والقلب صادي

وبالكفن لفه وبالنعش خلو الهادي

وضجت اعياله بالبكا وصاح المنادي

يالغرب قوموا شيعوا جنازة ولينه

أبوذيّة:

إلك بيت الحزن مولاي ينشاد

وعلى امصابك حمام النوح ينشاد

جرحك بالقلب ما أظن ينشاد

وقطع كبدتك سم المنية

«أللهمّ صلِّ على عليّ بن محمّد، إمام المسلمين، ووالِ من والاه، وعاد من عاداه، وضاعف العذاب على من ظلمه».

كان سبب شخوص أبي الحسن عليه السلام إلى سُرَّ من رأى: أنّ عبد الله بن محمّد كان يتولّى الحرب والصلاة في مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فسعى بأبي الحسن عليه السلام إلى المتوكّل، وكان يقصده بالأذى، وبلغ أبا الحسن سعايته به، فكتب إلى المتوكّل يذكر تحامل عبد الله بن محمّد ويكذّبه فيما سعى به، فتقدّم المتوكّل بإجابته عن كتابه ودعائه فيه إلى حضور العسكر على جميل من الفعل والقول..

فلمّا وصل الكتاب إلى أبي الحسن عليه السلام تجهّز للرحيل..

وعن يحيى بن هرثمة قال: وجّهني المتوكّل إلى المدينة لإشخاص عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى عليه السلام لشيء بلغه عنه، فلمّا صرت إليها ضجّ أهلها وعجّوا ضجيجاً وعجيجاً ما سمعت مثله، فجعلت أسكّنهم وأحلف أنّي لم أؤمر فيه بمكروه، وفتّشت منزله، فلم أصب فيه إلّا مصاحف ودعاء وما أشبه ذلك، فأشخصته وتولّيت خدمته، وأحسنت عشرته.

.. وخرج معه يحيى بن هرثمة حتّى وصل إلى سرّ من رأى، فلمّا وصل إليها تقدّم المتوكّل بأن يُحجب عنه في يومه، فنزل في خان يُعرف بخان الصعاليك..

عن صالح بن سعيد قال: دخلت على أبي الحسن عليه السلام فقلت: جُعلت فداك في كلّ الأمور، أرادوا إطفاء نورك والتقصير بك، حتّى

أنزلوك هذا الخان الأشنع خان الصعاليك، فقال: ها هنا أنت يا بن سعيد؟ ثمّ أومأ بيده (وكشف له عن بصره) فقال: انظر، فنظرت، فإذا بروضات آنقات، وروضات ناضرات، فيهنّ خيرات عطرات، وولدان كأنّهنّ اللؤلؤ المكنون، وأطيار، وظباء، وأنهار تفور، فحار بصري والتمع وحسِرَتْ عيني، فقال: حيث كنّا فهذا لنا عتيد، ولسنا في خان الصعاليك!..

ثمّ تقدّم المتوكّل بإفراد دارٍ له فانتقل إليها..

وأقام أبو الحسن عليه السلام بسرّ من رأى مكرّماً في ظاهر حاله، يجتهد المتوكّل في إيقاع حيلة به، فلا يتمكّن من ذلك..

ففي إحدى المرّات سُعي إليه أنّ في منزل الإمام الهادي عليه السلام كتباً وسلاحاً من شيعته من أهل قمّ، وأنّه عازم على الوثوب بالدولة، فبعث إليه جماعة من الأتراك، فهجموا داره ليلاً فلم يجدوا فيها شيئاً ووجدوه في بيت مغلقٍ عليه، وعليه مدرعة من صوف، وهو جالس على الرمل والحصا وهو متوجّه إلى الله تعالى يتلو آيات من القرآن. فحُمل على حاله تلك إلى المتوكّل وقالوا له: لم نجد في بيته شيئاً ووجدناه يقرأ القرآن مستقبل القبلة، وكان المتوكّل جالساً في مجلس الشرب، فدخل عليه والكأس في يد المتوكّل.

فلمّا رآه هابه وعظّمه وأجلسه إلى جانبه، وناوله الكأس التي كانت في يده فقال عليه السلام: والله ما يخامر لحمي ودمي قطّ، فاعفني فأعفاه، فقال: أنشدني شعراً، فقال عليه السلام: إنّي قليل

الرواية للشعر، فقال: لا بدّ، فأنشده عليه السلام وهو جالس عنده:

بَاتُوْا عَلَىٰ قُلَلِ الْأَجْبَالِ تَحْرُسُهُمْ ... غُلْبُ الرِّجَالِ فَلَمْ تَنْفَعْهُمُ الْقُلَلُ

وَاسْتُنْزِلُوْا بَعْدَ عِزٍّ مِنْ مَعَاقِلِهِمْ ... وَأُسْكِنُوْا حُفَراً يَا بِئْسَ مَا نَزَلُوْا!

نَادَاهُمُ صَارِخٌ مِنْ بَعْدِ دَفْنِهِمْ ... أَيْنَ الْأَسَاوِرُ وَالتِّيْجَانُ وَالْحُلَلُ؟

أَيْنَ الْوُجُوْهُ الَّتِيْ كَانَتْ مُنَعَّمَةً ... مِنْ دُوْنِهَا تُضْرَبُ الْأَسْتَارُ وَالْكِلَلُ

فَأَفْصَحَ الْقَبْرُ عَنْهُمْ حِيْنَ سَاءَلَهُمْ ... تِلْكَ الْوُجُوْهُ عَلَيْهَا الدُّوْدُ تَقْتَتِلُ

قَدْ طَالَ مَا أَكَلُوْا دَهْراً وَقَدْ شَرِبُوْا ... وَأَصْبَحُوْا الْيَوْمَ بَعْدَ الْأَكْلِ قَدْ أُكِلُوْا

قال: فبكى المتوكّل حتّى بلّت لحيته دموع عينيه، وبكى الحاضرون، وقال: فضرب المتوكّل بالكأس الأرض وتنغّص عيشه في ذلك اليوم.. ثمّ ردّ الإمام عليه السلام إلى منزله مكرّماً.

وفي بعض الروايات أنّ المتوكّل كان يمنع الناس من الدخول إلى عليّ بن محمّد عليهما السلام، وكان الشيعة يجلسون خلف داره ينتظرون انصرافه لينظروا إليه ويسلّموا عليه..

وروي: أنّه لمّا كان في يوم الفطر- في السنة التي قُتل فيها المتوكّل- أمر المتوكّل بني هاشم بالترجّل والمشي بين يديه، وإنّما أراد بذلك أن يترجّل أبو الحسن عليه السلام. فترجّل بنو هاشم، وترجّل أبو الحسن عليه السلام، واتّكأ على رجل من مواليه، فأقبل عليه الهاشميّون، وقالوا: يا سيّدنا، ما في هذا العالم أحد يُستجاب دعاؤه ويكفينا الله به تَعَزُّزَ هذا؟! قال لهم أبو الحسن عليه السلام: في هذا العالم مَنْ قُلامةُ ظفره أكرم على الله من ناقة ثمود، لمّا

عُقـرت الناقة صـاحَ الفصيل إلـى الله تعالى، فقـال الله سبحانه: ﴿تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾[1] فقتل المتوكّل يوم الثالث..

وبعـد هلاك المتـوكّل الذي جـرّع الإمام الغصص طيلة أربعة عشر عاماً، عاش الإمام بقيّة عمره مع بقيّة الحكّام الظَّلَمة الآخرين غريبـاً عن مدينة جدّه، ملازمـاً بيته، كاظماً غيظه، صابراً على ما مسّه مـن الأذى، إلى أن دَسَّ إليه المعتزّ (وقيـل المعتمد) السمّ، فاعتلّ منه الإمام عليه السلام علّة كانت فيها وفاته..

فأحضر ابنه أبا محمّد الحسن عليه السلام، وأعطاه مواريث الأنبياء والسلاح، ونصّ عليه وأوصى إليه بمشهد ثقات من أصحابه.

وأرسل لرجلين من أصحابه في ليلته: أنا راحل إلى الله في هذه الليلة، فأقيما مكانكما حتّى يأتيكما أمر ابني أبي محمّد عليه السلام..

عن أبي الهاشم الجعفريّ أنّه قال فيه وقد اعتلّ:

مَادَتِ الْأَرْضُ بِيْ وَأَدَّتْ فُؤَادِيْ ... وَاعْتَرَتْنِيْ مَوَارِدُ الْعُرَوَاءِ
حِيْنَ قِيْلَ: الْإِمَامُ نِضْوٌ عَلِيْلٌ ... قُلْتُ: نَفْسِيْ فَدَتْهُ كُلَّ الْفِدَاءِ
مَرِضَ الدِّيْنُ لِاعْتِلَالِكَ وَاعْتَلَّ ... وَغَارَتْ لَهُ نُجُوْمُ السَّمَاءِ
عَجَباً إِنْ مُنِيْتَ بِالدَّاءِ وَالسُّقْمِ ... وَأَنْتَ الْإِمَامُ حَسْمُ الدَّاءِ

إلـى أن دنا أجلـه، وعرق جبينـه، وسكن أنينـه، وفاضت روحه الطاهرة..

رحم الله من نادى: وا إماماه..وا غريباه.. وا مظلوماه..

(١) سورة هود الآية ٦٥.

سـم البقلبـك يـا عزيزي فـت قلبي
بعدك يوالينه عسـى ما شـوف دربي

ما ينقضي نوحي على مصابك ونحبي
تقضي بغربة وموحشة تبقى المدينه

غمّـض عيونـه ومـات بديـار غريبه
والحسن هاجت حسرته وعالي نحيبه

وسـجّاه بحجره وطلع مشقوق جيبه
وتجري ادموعه ويصفق اشماله ابيمينه

ولمّـا توفّـي اجتمـع فـي داره جملة بنـي هاشم مـن الطالبيّين والعبّاسيّيـن، واجتمـع خلق كثير مـن الشيعة، ثمّ فتـح من مصدر الرواق بـاب وخرج خادم أسـود، ثمّ خرج بعده أبـو محمّد الحسن العسكـريّ حاسراً مكشوف الرأس مشقوق الثياب، وكان وجهه وجه أبيه لا يخطئ منه شيئاً..

سـقاه السـم يويلـي اومـرد كبـده
اولا راقـب البـاري اوهـاب جـدّه

ظل ابنه الحسـن يبكـي اعلى فقده
شـيفيد النـوح لـو يجـري الدمع دم

وأُخرجت الجنازة وخرج يمشي حتّى خرج بها إلى الشارع وكان أبـو محمّد العسكريّ قد صلّى عليه قبـل أن يخرج إلى الناس.. ثمّ دُفن في دار من دوره وصاحت سُرَّ مَنْ رأى يوم موته صيحة واحدة..

وَسُمع في جنازته جارية تقول: ماذا لقينا في يوم الاثنين قديماً وحديثاً..

أيّها الموالي، نعم يوم الاثنين هو يوم وفاة رسول الله ﷺ على بعض الروايات، وقد حلّت بأهل البيت بوفاته ورحيله أعظم المصائب، وصاروا يذكرونه في مناسبات مختلفة، ولذا يروي السيّد ابن طاووس أنّهم لمّا مرّوا ببنات رسول الله ﷺ على مصرع الحسين عليه السلام، ونظرت النسوة إليه صحن وضربن وجوههن، وأخذت زينب عليها السلام تندب أخاها الحسين عليه السلام بصوت حزين وقلب كئيب: وفي بعض الروايات أنّها قالت: يا محمّداه، بناتك سبايا، وذرّيتك مقتّلة، تسفي عليهم ريح الصبا، وهذا حسين مجزوز الرأس من القفا، مسلوب العمامة والرداء، بأبي مَنْ عسكرُه في يوم الاثنين نهبٌ، بأبي من فسطاطه مقطّع العرى، بأبي من لا هو غائب فيُرتجى، ولا جريح فيداوى، بأبي من نفسي له الفداء، بأبي المهموم حتّى قضى، بأبي العطشان حتّى مضى، بأبي من شيبته تقطر بالدماء..

يجدي مات محّد وقف دونه
ولا نعّار غمضله اعيونه

يعالج بالشمس منخطف لونه
ولا واحد بحلقه ماي قطّر

يَالَيْتَ فِيْ الْأَحْيَاءِ شَخْصَكَ حَاضِرٌ وَحُسَيْنُ مَطْرُوْحٌ بِعَرْصَةِ كَرْبَلا
عَرْيَانُ يَكْسُوْهُ الصَّعِيْدُ مَلَابِساً أَفْدِيْهِ مَسْلُوْبَ اللِّبَاسِ مُسَرْبَلا

* * *

مجلس شهادة

الإمام العسكريّ عليه السلام

أَيَا صَفْوَةَ الْهَادِيْ وَيَا مُحْيِيَ الْهُدَىْ وَمُحْكِمَ دِيْنِ الْمُصْطَفَىْ وَهْوَ دَارِسُ

لَمَّا مَضَىْ الْهَادِيْ أَرَيْتَ مَعَاجِزاً بِهَا أُرْغِمَتْ مِنْ شَانِئِيْكَ الْمَعَاطِسُ

بِنَفْسِيَ مَنْ نَالَتْ بِهِ سُرَّ مَنْ رَأَى فَخَاراً لَه تَعْنُو النُّجُوْمُ الكَوَانِسُ

بِنَفْسِيَ مَنْ أَبْكَىْ النَّبِيَّ مُصَابُهُ وَأَظْلَمَ فِيْهِ دِيْنُهُ وَهْوَ شَامِسُ

بِنَفْسِيَ مَحْبُوْساً عَلَىْ حَبْسِ حَقِّهِ مَضَىْ وَعَلَيْهِ الْمَكْرُمَاتُ حَبَائِسُ

بِنَفْسِيَ مَنْ فِيْ كُلِّ يَوْمٍ تَسُوْمُهُ هَوَاناً بَنُوْ الْعَبَّاسِ وَهْيَ عَوَابِسُ

بِنَفْسِيَ مَسْمُوْماً تَشَفَّتْ بِهِ الْعِدَىْ قَضَىْ وَبِهَا لَمْ تُشْفَ مِنْهُ النَّسَائِسُ

بِنَفْسِيَ مَكْرُوْباً قَضَىْ بَعْدَ سَمِّهِ بَكَاهُ الْمُوَالِيْ وَالْعَدُوُّ الْمُشَاكِسُ

فَلَا كَانَ يَوْمُ الْعَسْكَرِيِّ فَإِنَّهُ لَيَوْمٌ عَلَىْ الدِّيْنِ الْحَنِيْفِيِّ نَاحِسُ

حَكَىْ جَدَّهُ عُمْراً وسُمّاً وَغُرْبَةً وَمَارَسَ مِنْ أَعْدَائِهِ مَا يُمَارِسُ[1]

(١) القصيدة للسيّد صالح النجفيّ المعروف بالقزوينيّ رحمه الله.

شعبي:

على أبـو محمّد يويلـي تراكم الهم

عقـب مـا كبـد أبـوه انمرد بالسـم

عليـه المعتمـد كل يـوم يشـتد

يويلي وظـلّ يجور علـى أبو محمّد

سـقاه السـم لمـن كبـده تمـرّد

ولا راقـب البـاري ولا تنـدم

أبوذيّة:

وحـق العسـكري ووالـده وسـمهم

علامـة بكل قلـب يضوي وسـمهم

حيـف اتجاسـر الظالـم وسـمهم

ابـذاك السـجن واندفنـوا سـويّه

لقد تعرّض هذا الإمام العظيم لمحنٍ كثيرة:

١- السجن:

وقد كان حاله فيه كحال جدّه الإمام الكاظم عليه السلام، فعن عليّ بن عبد الغفّار قال: دخل العبّاسيّون على صالح بن وصيف، ودخل صالح بن عليّ وغيره من المنحرفين عن هذه الناحية على صالح بن وصيف عندما حبس أبا محمّد عليه السلام، فقال لهم صالح: وما أصنع قد وكّلت به رجلين من أشرّ من قدرت عليه، فقد صارا من العبادة والصلاة والصيام إلى أمر عظيم، فقلت لهما: ما فيه؟ فقالا: ما تقول في رجل يصوم النهار ويقوم الليل كلّه، لا يتكلّم ولا يتشاغل وإذا نظرنا إليه ارتعدت فرائصنا ويداخلنا ما لا نملكه من أنفسنا، فلمّا سمعوا ذلك انصرفوا خائبين.

وعن المحموديّ قال: رأيت خطّ أبي محمّد لمّا أخرج من حبس المعتمد: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1].

٢- محاولة القتل والاغتيال:

وقد وقع ذلك في مواضع عديدة:

منها: أنّه سلّم أبو محمّد عليه السلام إلى نحرير[2] فكان يضيّق عليه ويؤذيه، قال: فقالت له امرأته: ويلك اتق الله، لا تدري من

(١) سورة الصف الآية ٨.

(٢) هو خادم من خدم الخليفة وكان راعيَ سباع الخليفة وكلابه، ومن خواصّه، وكان شقيّاً من الأشقياء، والنحرير: الحاذق الفطن.

فـي منزلك؟! وعرَّفته صلاحه وقالت: إنّي أخاف عليك منه، فقال: لأرمينّـه بين السباع، ثـمّ فعل ذلك به، فرُئـي عليه السلام قائماً يصلّي وهي حوله.

ومنها: ما عن أحمد بن الحارث القزوينيّ قال: كنت مع أبي بسرّ مـن رأى، وكان أبـي يتعاطـى البيطرة في مربط أبـي محمّد، قال: وكان عنـد المستعين بغل لم يُرَ مثله حسناً وكبراً، وكان يمنع ظهره واللجـام والسرج، وقد كان جمـع عليه الراضـة[1]، فلم يمكن لهم حيلـة في ركوبه، قال: فقال له بعض ندمائه: يا أمير المؤمنين، ألا تبعـث إلى الحسن بـن الرضا حتّى يجيء، فإمّـا أن يركبه، وإمّا أن يقتلـه فتستريح منه، قـال: فبعث إلى أبي محمّـد ومضى معه أبي، فقـال أبي: لمّا دخـل أبو محمّد الـدار كنت معه، فنظـر أبو محمّد إلى البغل واقفـاً في صحن الدار. فعدل إليه فوضع بيده على كفله، قـال فنظرت إلى البغل وقد عرق حتّى سال العرق منه، ثمّ صار إلى المستعيـن، فسلّم عليه فرحّب به وقرب، فقـال: يا أبا محمّد ألجم هذا البغـل، فقال أبو محمّد لأبي: ألجمه يا غلام، فقال المستعين: ألجمه أنت، فوضع طيلسانـه، ثمّ قام فألجمه، ثمّ رجع إلى مجلسه وقعـد، فقال له: يا أبـا محمّد أسرجه، فقال لأبي: يا غلام أسرجه، فقـال: أسرجه أنـت، فقام ثانية فأسرجه ورجـع، فقال له: ترى أن تركبـه؟ فقال: نعـم، فركبه من غيـر أن يمتنع عليه ثـمّ ركّضه في الـدار، ثمّ حمله على الهملجة[2] فمشى أحسن مشي يكون، ثمّ رجع

(١) جمع رائض، أي الذي يتولّى تربية المواشي.
(٢) نوع من المشي.

ونـزل، فقال له المستعين: يـا أبا محمّد كيف رأيتـه؟ قال: يا أمير المؤمنيـن ما رأيت مثله حسناً وفراهةً ومـا يصلح أن يكون مثله إلّا لأميـر المؤمنين، قال: فقـال: يا أبا محمّد فإنّ أميـر المؤمنين قد حملك عليه، فقال أبو محمّد لأبي: يا غلام خذه، فأخذه أبي فقاده.

ومنها: أنّه لمّا همّ المستعين في أمر أبي محمّد (العسكريّ) عليه السلام بمـا همّ وأمـر سعيد الحاجب بحمله إلى الكوفـة، و أن يحدث عليه في الطريق حادثة انتشر الخبر بذلك في الشيعة فأقلقهم، وكان بعد مضيّ أبي الحسن (الهادي) عليه السلام بأقلّ من خمس سنين. فكتب إليه محمّد بن عبـد الله والهيثم بن سيّابة: بَلَغنا -جَعَلَنـا الله فداك- خبرٌ أقلقنا وغمّنا، وبلغ منّـا، فوقّع: بعد ثلاث يأتيكم الفرج، قال: فخُلع المستعين في اليوم الثالث، وقعد المعتزّ، وكان كما قال[1].

٣- الشهادة:

إلى أن جاء المعتمد العبّاسيّ، ودسّ للإمام عليه السلام السمّ، وصار الإمام جليـس الدار وطريح الفراش.. ثمانية أيّـام.. يعاني الآلام والأوجاع من أثر السمّ..

ولمّا اعتلّ بعثـوا إلى الخليفة أنّ ابن الرضا قد اعتلّ، فركب من دار الخلافة نفر من خدّام أمير المؤمنين كلّهم من ثقاته وخاصّته.. وأمرهـم بلـزوم دار الحسن بـن عليّ عليه السلام وتعـرّف خبره وحاله، وبعـث إلى نفر مـن المتطبّبيـن فأمرهم بالاختـلاف إليه وتعاهده

(١) وروي مثله مع المعتزّ أيضاً والله العالم.

صباحـاً ومساءً. فلمّا كان بعد ذلـك بيومين جاءه من أخبره أنّه قد ضعف، فركـب إليه بعض أصحاب الخليفة وأمر المتطبّبين بلزومه وبعـث إلـى قاضي القضـاة فأحضـره مجلسه وأمـره أن يختار من أصحابـه عشرة ممّن يوثق به في دينـه وأمانته وورعه، فأحضرهم فبعث بهـم إلى دار الحسن عليه السلام وأمرهم بلزوم داره ليلاً ونهاراً، فلم يزالوا هناك حتّى توفّي عليه السلام..

قـال إسماعيـل بـن علـيّ: دخلـت علـى أبـي محمّـد الحسن بـن عليّ عليهما السلام فـي المرضة التي مـات فيها وأنا عنـده، إذ قال لخادمـه عقيـد- وكان الخادم أسود نوبيّاً قد خـدم من قبله عليّ بـن محمّد وهو ربـيّ الحسن عليه السلام - فقـال [له]: يـا عقيد إغل لـي ماء بمصطكي[1]، فأغلى له، ثمّ جـاءت به صقيل الجارية أمّ الخلف عليه السلام. فلمّا صار القدح في يديه وهم بشربه فجعلت يده ترتعـد حتّى ضرب القـدح ثنايا الحسـن عليه السلام، فتركه من يده، وقـال لعقيد: أدخل البيت فإنّـك ترى صبيّاً ساجداً فأتني به. قال أبـو سهل: قال عقيد: فدخلـت أتحرّى فإذا أنا بصبيّ ساجد رافع سبابتـه نحو السماء، فسلّمت عليه فأوجـز في صلاته، فقلت: إنّ سيّـدي يأمرك بالخروج إليـه، إذا جاءت أمّه صقيل فأخذت بيده وأخرجته إلى أبيه الحسن عليه السلام.

قال أبو سهل: فلمّا مَثُلَ الصبيّ بين يديه سلّم، وإذا هو دُرّيّ اللون،

(١) المصطكي: شجر له ثمر يميل طعمه إلى المرارة ويستخرج منه صمغ يعلك، وهو دواء.

وفـي شعر رأسـه قطط، مفلج الأسنان، فلمّـا رآه الحسن عليه السلام بكى وقـال: يا سيّـد أهل بيتـه اسقني الماء فإنّـي ذاهب إلـى ربّي، وأخذ الصبيّ القدح المغليّ بالمصطكي بيده ثمّ حرّك شفتيه ثمّ سقاه، فلمّا شربه قال: هيّئوني للصـلاة، فطُرح في حجره منديل فوضّأه الصبيّ واحـدة واحدة، ومسح على رأسه وقدميه. فقال له أبو محمّد عليه السلام: أبشـر يا بنيّ، فأنـت صاحب الزمان، وأنت المهـديّ، وأنت حجّة الله على أرضه، وأنت ولدي ووصيّي وأنا ولدتك... ولَدَك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنـت خاتم [الأوصياء] الأئمّة الطاهرين، وبشَّر بك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وسمَّـاك وكنَّاك، بذلك عهد إليَّ أبي عـن آبائك الطاهرين صلّى الله على أهل البيت، ربّنا إنّه حميد مجيد.

قالـوا: ثمّ أخـذ ولده الحجّـة عجل الله فرجه الشريف، وضمّـه إلى صـدره الشريف وجعل يقبّله ويودّعه ويبكي، ويوصيه بوصاياه وسلّمه ودائع الإمامة، ثـمّ سكـن أنينه، وعرق جبينـه، وغمّض عينيه، ومـدّ يديه ورجليه، وفاضت روحه الطاهرة..

رحم الله من نادى: وا إماماه.. وا سيّداه.. وا مظلوماه..

بعـد مـا ودّع ابنـه ابقلـب مجـروح

تشـاهد ويل قلبـي وطلعـت الروح

ثـار صيـاح أهـل بيتـه وعـلا النوح

تنـادي مـات أويلي الحسـن بالسـم

وقام الإمـام الحجّة عجّل الله تعالى فرجـه بتجهيز أبيه الإمام العسكريّ عليه السلام، ولمّا وضع الإمام في نعشه مكفّناً تقدّم جعفر بن

علـيّ ليصلّي على أخيه، يقول الراوي: فلمّا همّ بالتكبير خرج صبيّ بوجهـه سمرة، بشعره قطط، بأسنانه تفليج، فجبذ برداء جعفر بن علـيّ وقال: تأخّر يا عمّ، فأنا أحقّ بالصلاة على أبي، فتأخّر جعفر، وقد أربدّ وجهه واصفرّ. فتقدّم الصبيّ وصلّى عليه ودُفن إلى جانب قبر أبيه عليه السلام..

ولمّا مضى الإمام عليه السلام صارت سُرَّ مَنْ رأى ضجّة واحدة- مات ابـن الرضا- وبعث السلطان إلـى داره من يفتّشها ويفتّش حجرها، وختـم علـى جميع ما فيهـا وطلبوا أثر ولـده وجـاؤوا بنساء يعرفن بالحبل، فدخلن على جواريه فنظرن إليهنّ فذكر بعضهنّ أنّ هناك جاريـة بها حمل فأمـر بها فجعلت فـي حجرة ووكّل بهـا «**نحرير**» الخـادم وأصحابـه ونسوة معهم، ثـمّ أخذوا بعد ذلك فـي تهيئته، وعطّلـت الأسواق وركب بنـو هاشم والقوّاد والكتّـاب وسائر الناس إلى جنازته عليه السلام، فكانت سُرَّ مَنْ رأى يومئذ شبيهاً بالقيامة..

اجـت النـاس تتراكـض ابدهشـه

لگـوا دار العلـوم اشـلون وحشـه

بكـوا عالبـاب لمّـن طلـع نعشـه

تلقـوه ابلطـم يدمـي الخديـن

وعن الرضـا عليه السلام أنّه قال: لا بدّ من فتنة صمّاء صيلم يسقط فيها كلّ بطانة ووليجة، وذلك عند فقدان الشيعة الثالث من ولدي، يبكي عليه أهل السمـاء وأهل الأرض وكلّ حرّى وحرّان، وكلّ حزين لهفان..

سارت بالنعش تبكي حواليه
لما دفنوه ردوا للعزا اعليه

بس احسين ما واحد وصل ليه
ثلث تيام عاري ابغير تكفين

لهفي عليك سيّدي أبا عبد الله! من الذي غسّلك وكفّنك وشيّعك؟!

مَا غَسَّلُوْهُ وَلَا لَفُّوْهُ فِيْ كَفَنٍ يَوْمَ الطُّفُوْفِ وَلَا مَدُّوْا عَلَيْهِ رِدَا

* * *

مجلس
استنهاض الحجّة عجل الله فرجه الشريف

أَللهَ يَـا حَـامِـيْ الـشَّـرِيْـعَـهْ أَتَـقَـرُّ وَهْـيَ كَـذَا مَـرُوْعَـهْ
بِـكَ تَـسْـتَـغِـيْـثُ وَقَـلْـبُـهَـا لَكَ عَنْ جَوىً يَشْكُوْ صُدُوْعَهُ
مَـاتَ الـتَّـصَـبُّـرُ فِـيْ انْـتِـظَـا رِكَ أَيُّـهَـا الْمُحْيِي الشَّرِيْعَهْ
فَـانْـهَـضْ فَـمَـا أَبْـقَـى التَّحَـ ـمُّـلُ غَـيْـرَ أَحْـشَـاءٍ جَـزُوْعَـهْ
قَـدْ مَـزَّقَـتْ ثَـوْبَ الْأَسَـى وَشَـكَـتْ لِوَاصِلِهَا الْقَطِيْعَهْ
كَـمْ ذَا الْـقُـعُـوْدُ وَدِيْـنُـكُـمْ هُـدِمَـتْ قَـوَاعِـدُهُ الـرَّفِـيْـعَـهْ
تَـنْـعَـىْ الْـفُـرُوْعُ أُصُـوْلَـهُ وَأُصُـوْلُـهُ تَـنْـعَـىْ فُـرُوْعَـهْ
فَـاشْـحَـذْ شَبَا عَـزْمٍ لَـهُ الْـ ـأَرْوَاحُ مُـذْعِـنُـةٌ مُـطِـيْـعَـهْ
وَاطْـلُـبْ بِـهِ بِـدَمِ الْـقَـتِـيْـ ـلِ بِـكَـرْبَـلا فِـيْ خَـيْـرِ شِيْعَهْ
مَـاذَا يَـهِـيْـجُـكَ إِنْ صَبَرْ تَ لِـوَقْـعَـةِ الـطَّـفِّ الْفَظِيْعَهْ؟
أَتُـرَىْ تَـجِـيْءُ فَـجِـيْـعَـةٌ بِـأَمَـضَّ مِـنْ تِـلْـكَ الْفَجِيْعَهْ؟
حَيْثُ الْحُسَيْنُ عَلَىْ الثَّرَىْ خَيْلُ الْـعِـدَىْ طَحَنَتْ ضُلُوْعَهْ
قَـتَـلَـتْـهُ آلُ أُمَـيَّـةٍ ظَـامٍ إِلَـىْ جَـنْـبِ الشَّرِيْعَهْ
وَرَضِـيْـعُـهُ بِـدَمِ الْـوَرِيْـ ـدِ مُخَضَّبٌ فَاطْلُبْ رَضِيْعَهْ[1]

(١) القصيدة للسيّد حيدر الحلّي رحمه الله.

شعبي:

اشلون حالك من تصل وادي الطفوف
وللمصارع ذيك بعيونك تشوف

اوشفت عباس مقطوع الكفوف
اوحاله يالمهدي يذوّب مهجتك

عمك العباس يا راعي الشيم
على النهر مطروح وبعينه السهم

اكفوفه يمّه امقطعه او يمّه العلم
والعمود ابراس ابو فاضل فتك

هاي صورة اتشوفها او صورة بعد
أكثر او أكثر يبو صالح واشد

فوق صدر حسين طفل البالمهد
اتشوفه مذبوح او يزوّد ونتك

واليزيدك سيدي اهموم وقهر
من تشوف حسين مقطوع النحر

اوجالت الخيل اعلى صدره والظهر
هالمصيبة اعليها تسكب دمعتك

والمصيبة المنها يلتاع القلب
من مشت زينب أسيرة وّيه الغرب

ريت كون اتشوفها بذاك الدرب
ابولية العدوان راحت عمتك

أبوذيّة:

راعـي الثـار مـا يظهـر علامـه
وينشـر للدنـا نـوره علامـه
درى بمتـون عماتـه علامـه
بضـرب سـياط زجـر وجـور امّيـه

الإمـام الحجّـة عجل الله فرجه، هـو الحامـل لمصائـب آبائـه وأجـداده، وخصوصاً مصيبة الإمام الحسين عليه السلام، فهو المنتقم له والطالب بثاره.

ففـي الكافـي بسنده عن محمّد بن حمران قـال: قال أبو عبد الله عليه السلام: لمّـا كان مـن أمـر الحسين عليه السلام مـا كان، ضجّت الملائكـة إلى الله بالبـكاء وقالت: يفعل هـذا بالحسين صفيّك وابـن نبيّك؟ قال: فأقام الله لهم ظـلّ القائم عليه السلام وقال: بهذا أنتقم لهذا.

وعـن الباقر عليه السلام في كيفيّـة تعزية المؤمنيـن بعضهم لبعض بمصيبة الحسين عليه السلام، أنّهم يقولون: «**عظم الله أجورنا بمصابنا بالحسيـن عليه السلام، وجعلنـا وإيّاكـم مـن الطالبين بثاره مـع وليّه الإمام المهديّ من آل محمّد** صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي دعاء الندبة: أين الطالب بدم المقتول بكربلاء..

يبـو صالـح جـزاك العتـب واللـوم

تظـل صابـر علـى أخـذ الثـار لليوم

يـا هـو المـن هلـك راح مظلـوم

يـو مذبـوح يـو مقتـول بالسـم

عجـب كل العجب منك يمحجوب

مـا تنهـض تقيـم اعليهـا الحـروب

نسيت اللي سـبوها اوقطعت ادروب

يـو ناسـي الضلـع لمّـن تهشّـم

سيّـدي يا صاحب الزمان، أنت المعزّى بجدّك الحسين عليه السلام، والنـادب له، والراثي لمصيبته.. استمـع أيّها الموالي لإمام زمانك كيـف يخاطب جـدّه الحسيـن عليه السلام، فيما يُـروى عنه، فـي زيارة الناحية المقدّسة:

«..السـلام على الشيب الخضيـب، السلام على الخدّ التريب، السـلام علـى البـدن السليـب، السـلام علـى الثغـر المقـروع بالقضيب..».

«السلام عليك، سلام العارف بحرمتك، المخلص في ولايتك، المتقـرّب إلى الله بمحبّتك، البريء مـن أعدائك، سلام من قلبه بمصابـك مقـروح، ودمعـه عنـد ذكـرك مسفـوح، سـلام المفجوع المحزون، الواله المستكين.

سلام من لو كان معك بالطفوف لوقاك بنفسه حدّ السيوف، وبذل حشاشته دونك للحتوف، وجاهد بين يديك، ونصرك على من بغى عليك، وفداك بروحه وجسده، وماله وولده، وروحه لروحك فداء، وأهله لأهلك وقاء.

فلئن أخّرتني الدهور، وعاقني عن نصرك المقدور، ولم أكن لمن حاربك محارباً، ولمن نصب لك العداوة مناصباً، فلأندبنّك صباحاً ومساءً، ولأبكيّن عليك بدل الدموع دماً، حسرةً عليك وتأسّفاً على ما دهاك وتلهّفاً، حتّى أموت بلوعة المصاب وغصّة الاكتياب..».

ثمّ يصف ما جرى عليه ويقرأ مصيبته:

«..فلمّا رأوك ثابت الجأش، غير خائف ولا خاش، نصبوا لك غوائل مكرهم، وقاتلوك بكيدهم وشرّهم، وأمر اللعين جنوده، فمنعوك الماء وورودَه، وناجزوك القتال، وعاجلوك النزال، ورشقوك بالسهام والنبال، وبسطوا إليك أكفّ الاصطلام، ولم يرعوا لك ذماماً، ولا راقبوا فيك آثاماً، في قتلهم أولياءك، ونهبهم رحالك، أنت مقدّم في الهبوات، ومُحتمِل للأذيّات، وقد عجبَتْ من صبرك ملائكة السماوات.

وأحدقوا بك من كلّ الجهات، وأثخنوك بالجراح، وحالوا بينك وبين الرَّواح، ولم يبق لك ناصر، وأنت محتسب صابر، تذبّ عن نسوتك وأولادك.

حتّى نكّسوك عن جوادك، فهويت إلى الأرض جريحاً، تطؤُك الخيول بحوافرها، وتعلوك الطغاة ببواترها، قد رشح للموت جبينك، واختلفَتْ بالانقباض والانبساط شمالك ويمينك، تدير طرفاً خفيّاً إلى رحلك وبيتك، وقد شُغِلْتَ بنفسك عن وُلدك وأهلك، وأسرع فرسك شارداً، وإلى خيامك قاصداً، محمحماً باكياً.

فلمّا (رأت) النساء جوادك مخزيّاً، ونظرن سرجك عليه ملويّاً، برزن من الخدور.. على الخدود لاطمات.. وبالعويل داعيات، وبعد العزّ مذلَّلات، وإلى مصرعك مبادرات، والشمر جالس على صدرك، مولغ سيفه على نحرك، قابض على شيبتك بيده، ذابح لك بمهنده، قد سكنت حواسّك، وخفيت أنفاسك، ورُفِع على القنا رأسك..».

هذا حاله في غيبته..

وأمّا حاله عند ظهوره، فقد نُقِل أنّه: إذا ظهر القائم عجل الله فرجه الشريف، قام بين الركن والمقام وينادي بنداءات خمسة:

الأوّل: ألا يا أهل العالم، أنا الإمام القائم..

الثاني: ألا يا أهل العالم، أنا الصمصام المنتقم..

الثالث: ألا يا أهل العالم، إنّ جدّي الحسين عليه السلام، قتلوه عطشانَ..

الرابع: ألا يا أهل العالم، إنّ جدّي الحسين عليه السلام، طرحوه عريانَ..

الخامس: ألا يا أهل العالـم، إنّ جدّي الحسين عليه السلام، سحقوه عدواناً..

نعـم أيّهـا الموالي، نادى عمر بـن سعد في ذلك اليـوم: ألا من ينتدب للحسين فيوطئ الخيل صدره وظهره، فانتدب عشرة أفراس، وداسوا بحوافر خيولهم صدر الحسين عليه السلام وظهره، حتّى طحنوا أضلاعه وألصقوه بالأرض..

وا حسيناه.. وا إماماه..

نـادى بـن سـعد يـا خيلنـا ويـن
مـن يركـب يـرض ضلوع لحسـين

يـرض صـدره والظهـر زيـن
ويـرض الباقـي لعظامـه ويسـدر

وَأَيُّ ذَبِيْحٍ دَاسَتِ الْخَيْلُ صَدْرَهُ وَفُرْسَانُهَا مِـنْ ذِكْـرِهِ تَتَجَمَّدُ!
أَلَمْ تَكُ تَدْرِيْ أَنَّ رُوْحَ مُحَمَّدٍ كَقُرْآنِهِ فِـيْ سِبْطِهِ مُتَجَسِّدُ؟!

* * *

الفهرس

مقدّمة ٥

مجلس شهادة الإمام عليّ عليه السلام ٩

مجلس شهادة الإمام الحسن عليه السلام ٢١

مجلس شهادة الإمام الحسين عليه السلام ٣١

مجلس شهادة الإمام زين العابدين عليه السلام ٤١

مجلس شهادة الإمام الباقر عليه السلام ٥٣

مجلس شهادة الإمام الصادق عليه السلام ٦٣

مجلس شهادة الإمام الكاظم عليه السلام ٧٣

مجلس شهادة الإمام الرضا عليه السلام ٨٥

مجلس شهادة الإمام الجواد عليه السلام ٩٧

مجلس شهادة الإمام الهادي عليه السلام ١٠٧

مجلس شهادة الإمام العسكريّ عليه السلام ١١٧

مجلس استنهاض الحجّة عجل الله فرجه الشريف ١٢٩

الفهرس ١٣٩